



# عزيزتي البعيدة

ساره عاشور



إهداء،،

إلى العزيز البعيد،،

لعل قلبك لم يبال . .  
ولعل قلبي تشفيه المسافات . .

إلى كل بعيد،،

الْبُعد يقتلكم داخلنا كل حين . .

ساره عاشور

أخذتني الفارغة  
مملوئة تحتطط السفر  
وتعرف الطرق كلها  
التي تؤدي إليك

جونتر جراس

# عزیزؑ البعیدؑ ..

سارہ عاشور

٢٠١٣/٦/١٦

الرسالة الأولى بعد الألف:

عزيزي البعيد . .

الرقم يبدو وضخم ليس كذلك؟ ولكن في الحقيقة أنه رقم افتراضي فأنا فقدت العدد منذ فترة وكبريائي منعني من متابعته فمن يجلس ليكتب هذا العدد من الرسائل لغائب لا يرد؟  
تظل علي ذكرياتنا معاً أو لأكون صريحة معك أنني ظلمت حببسة لها وأظلم مع كل خطاب أجتر المزيدي منها وكأنها نبذي الذي أعجبتني سكرته ولا أريد أن أفيق منها، أبقى بعالمنا الذي كان لأهرب من عالمي الذي هو الآن من دونك .

«لا أريد منك رد لقد نسيتك . .»

هذه العبارة التي تدرت كثيراً مع كل خطاب كي أنهيه بها ولكن يخشى قلبي أن يخطها فتصير كالقدر وتمنعك من الرد إن أنت نويت يوماً . . اعتبره كآويل الرؤى، أنت تعلم أنك أن فسرت رؤية ما بشكل مغلوطة ستكتب لك كما فسرت وليس كما قدر لها أن تكون حقاً ولذلك فلنعتبر أنني لم أكتبها أنا فقط أحكي وفي الحكيم لي ملاذ .

لن أطيل عليك كثيراً . .

«وكانك تقرأ . .»

كان يمكن أن أقول لك عنه الذي بدأ يتغلغل لتفاصيل يومي ليملي نقاط فراغك المبعثرة هنا وهناك وكيف أنه يحسدك علي ولكن لن أقدر أن أجرحك بمثل هذا الحكيم،

«وكانه سيبحرك . .»

وكانك ستهم . .»

فلتبق كما أنت بعيداً بذكرى لدي لا تمحى، أن عُدت يوماً لن تتعرف عليّ ولكنني سأعرفك جيداً كما أعرف تفاصيل الخطوط بيدك وعدد العروق النافرة بها ولون ابتسامتك الذي يقرب للشمس لم تكن تصدقني في ذلك أبداً ولكن حتماً ستصدق به بصوت أنثى أخرى فأنا فقدت كل تأثيري عليك وبات أثري ممحواً كعلامات الزمن المخلفة على الأطلال تراها فتعجبك وربما تذكرها وربما لا ولكنها تلمس بك شئ مجهول .

فسأبقى بعيدة وأنا جيك بخطابات لا أرسلها لك، لاشئ سوى لأنني سأبدو في أقصى حالات ضعفي وأنت لا تحب المرأة الضعيفة ولن تذكرني على أية حال ولكن أن وصل لك يوماً أياً من هذه الخطابات فلتبتسم قليلاً لتشرق عليها شمسك فتدوب سعيدة . .

ربما يكون المائة بعد الألف . .

لا أعلم لكن وداعاً .

حبيبي البعيد،،

في هذه اللحظة تمامًا أتذكر ما كنت أقصه عليك، الفتاة التي رُزقت بحب العمر ذلك الذي يأتي مرة ولا يتكرر وأن القصة ستستمر بلا نهاية ولكن تلك الفتاة التي تعشق حد الجنون تركت وحيدة . .

ظلت تغزل كل دقائق أيامها بكلماته ووجوده وعندما ذهب هو ظلت تجلس هي تنظر للفراغات خلفه ولطول حجمها كانت تنكرها، تنظر لأيامها فترى أشياء عديدة يمكن أن تفعلها وتجلس لتكتب قوائم وخطط ثم تتركها جانبًا لتأمل مقعده الفارغ وتنام وهي تعلم جيدًا أنها ستصحو غدًا على نفس الفراغ ولكن تُمني نفسها أن هذا فقط مجرد كابوس وغدًا لن يكون هناك فراغ ولا وقت شاغر دونه . .

تُعدّد ما يُمكنها أن تفعل وهي تعلم جيدًا أنها تفقد الحماس اللازم لتنهض من فراشها صباحًا لتستكمل دقائق اليوم الثقيلة حتى تنام مرة أخرى فبالطبع لن تفعل أيًا مما تكتبه هذا .

تلك الفتاة يا عزيزي يحتمل أيامها الحب، تلك الفتاة أحبت الاعتماد عليه وعلى وجوده في حياتها حتى أن فكرة ابتعاده يومًا كانت تستحيل على مجرد المرور بعقلها . . تلك الفتاة تُحب . .

في هذه اللحظة تمامًا يرن صوت ضحكك بأذني وأرى بعيني وجهك وأسمع كلامك وأشعر بلمسة يدك . . في هذه اللحظة يمر شريط سنواتنا معًا بشكل عاصف بعقلي حتى يكاد يطير فلا مجال لذكر كيف يكون الوقت بدونك . . .

الفتاة التي أحبت تنتظر أن تستكمل قصتها للأبد والفتاة التي تحكي تنتظر أن تصحو من ذلك الكابوس على صوتك يغازلها . . .

حبيبي البعيد، في هذه اللحظة تمامًا أنت تحلني . .

٢٠١٣/١٠/٩

عزيزي البعيد،،

تحية قلبية وبعد . .

فيما مضى لما يكن لي سوى مناداتك بالحبيب القريب ولكن ليس بعد الآن أرجو منك أن تعذرني في التحدث في بقية الخطاب باللغة الدارجة لأن الفصحى تحتاج مجهود ذهني لا أملكه الآن، فاسمح لي . .

عزيزي كنت مفكرة أني في الوقت ده هكون بيكيك وبسنتك كثير بعد غيابك وكنت مفكرة أن وشك وملاحك هتلاحقني في كل مكان بس الحقيقة يا عزيزي واللي لازم فعلاً أعترف بيها بكل راحة أني فاكرة أنك طويل وفاكرة أنك أبيض ومش فاكرة شكل ملاحك عارف يعني ايه مش فاكرة شكل ملاحك؟

ملاحك اللي كنت بقعد أحفظها بصوابي وأنا مغمضة بطريقة برايل عشان تحفر في ذاكرتي؟  
مش فاكراها واتمسحت مني وأقولك كمان ضحكك وصوتها اللي كان ييرقص قلبي مش فاكراها وأقولك الحقيقة اللي توجع أكثر أني مش عاوزة أفكر ولا ببذل أي مجهود في أني أحاول ويمكن عدم المحاولة بيوجع أكثر من أني مش فاكرة لأنني عارفة أن حي ليك كان كبير بس على قد ما كان حجم حبك في قلبي على قد ما هيحي نسيانك . .

قلة اهتمام كملت بعدم اهتمام . . وعدم الاهتمام ده بياكل في الحب من القلب لو ما تعرفش، أنا مقتنعة أن الحب ممكن يصمد قصاد حاجات كثيرة جداً ويمكن كمان تقويه الإقالة الاهتمام يا عزيزي دي بتدله من جذوره وبينتهي قبل ما تبدي تفكر أنك تلحقه وأنت أصلاً مكنتش عاوز تلحقه فكان بيدل جوة مني وبيموتني وأنت في دنيتك لوحدك ومش داري . .

لوفكرت أني مستنيك ولا أن كل حركة ونفس وكلمة وابتسامة مني بتطلع عشانك زي زمان تبقى واهم نفسك ولو فكرت أني هرجعلك لأن حي لك كان كبير ومخليك مغرور وحاسس أني مضمونة خلاص فبردويا عزيزي أنت واهم ولو فكرت أن لسه فيه حب هيتحرك ناحيتك تبقى واهم بس عموماً لو حصل وفكرت ترجع مش هتلاقي اللي أنت سيبتها عشان ترجعها . .



ولو أني متأكدة أنك كملت في الطريق اللي اخترته وكملت مع ناس تانية ويمكن يكونوا أحسن مني ويمكن تكون مراتح كمان أكثر ما كنت مراتح معايا وما بتفكرش فيا ولا عاوز تفتكرني ولو كده فعلاً فأنا هقولك أنك كان عندك حق أن الحب الحقيقي بيكمل للأخر وأنت حبك مكش حقيقي ومحدش فينا خسران ولا حد فينا كسبان ولا احنا هنبقى زي قبل ما عرفنا بعض أو أنا على الأقل عارفة أنني مش هبقى نفس الشخص . .

حياتك أنت أدرى هتمشي ازاي وحياتي أنا أدرى هتمشي ازاي وخالص بقينا خطين متوازيين زي خط شريط القطر عزيزي ممكن نبص على بعض من بعيد لكن دروبنا مش هتتلاقى . . للأسف كانت أحلامي فيك أكبر منك . .

عزيزي البعيد ابق بعيداً . .

عزيرى البعير . .

اليوم نفذت شيئاً مما كنت أخطط له منذ آخر حديث لي معك، اليوم عزيرى نسيته . .  
هل ستصدقني أن سمعتها بأذنيك؟

لقد جلست بليلة قمر كامل لألقى التعويذة وغزلت ما تبقى داخلي من شوق وحنين لك مع ما تبقى من ذكريات ثم قذفتهم في قاع بحر  
يدعونه أحياناً «النسيان» ولأن القمر كان بدرًا ولأن الجرح كان غائرًا وأنا دائماً ما كنت بارعة في النسيح فنجحت ولكن يبقى شيئاً  
صغيراً ثقيلًا لم يذهب بعد شيء يدعى «أنت» لا يرحل يا عزيرى . .

عزيزي البعيد ،،

أما بعد الفراق فأنا لا أشواقك ولا أكتب لك لأقول أنني أشواق ولكنها العادة التي لا أستطيع التخلص منها بعد ولكن ذلك سيحدث قريباً لذلك سأحاول أن أختصر في الحديث .

الآن قد مر على فراقنا عدة أيام تفوق قدرتي على التذكر ليس لدي الوقت لأتابع ذلك . . نعم عزيزي لا أجلس لأعد الأيام والدقائق التي مرت من دونك فالعالم لا زال يدور وأنا لازلت أحاول اللحاق به ووسط ذلك كله ألتقط أنفاسي وأكتب لك .

عزيزي، كان لديك تلك العادة المميّزة في خنقي بتطلبك دوماً للاهتمام فاهتم واهتم واهتم وبنهاية اليوم أجد روعي عارية بلا جسد يهتم بها ولا روح تحويها وابقى أنا أستنزف بشكل يومي وتستهلك روعي بكل ساعة حتى ما عاد بها ما يمكنني أن أشاركه مع أي حد ولا أظن معي أنا حتى . .

يا عزيزي لم تعد عزيز حتى ولذلك أيها البعيد أكتب لك الآن وأنا ألتقط أنفاسي فالعالم يدور وأنا منهكة وأنت بعيد وأنا لا أسمح باقتراب أي شخص والصدقات لا تدوم والحياة لا تتوقف على أحد ولا أنا أملك بداخلي مكان لأحد ولذلك أنا معي أنا وهذا يكفي للآن . .

عزيمي البعيد ،،

لم أعد أتذكرك ويات وجودك داخلي كالسراب الذي يظهر في وقت الظهيرة ثم سرعان ما يختفي عندما تعدل درجة الحرارة وأنا أحافظ على حرارة قلبي معتدلة لذا وجودك شبه منعدم . .

دمت بعيداً . .

٢٠١٤/١/٩

عزيزي البعيد ،،

حياتي ممتلئة بالأصدقاء ورغم ذلك فارغة !! ليس لأنها فارغة منك ولكن لأنني بنهاية اليوم أندثر بروحي الوحيدة لنفوس حتى موعده شجارنا الصباحي فهي تريد دوماً البقاء تحت الأغطية وعدم مواجهة العالم وأنا لا أريد أن تفوتني الحياة !! أصل معها يوماً لحل وسط وأنا أعلم جيداً أنها ستنساه بنهاية اليوم، سأخذ في اعتباري اليوم رغبتها في وجود حبيب يؤنسها ثم اشتري لها آيس كريم فتسنى عن أي حبيب كانت تتحدث، ولكنها ستكتشف لعبتي لا محالة وستبدأ في أخذ موقف حتى يتم لها ما تريد وأنا يا عزيزي أخشى عليها من عزيز جديد فلا القديم بقي حتى نأتي بجديده ولا الجديد سيدري كيف يضحك عليها بالآيس كريم ولا سيدري ضعفها التي تخبئه ببراعة ولا سيدري كيف يتعامل معها حين تتغير حالتها المزاجية ولا تملك أي طاقة تواجه بها العالم، الحالة التي باتت تتلبسها كثيراً مؤخراً .

عزيزي البعيد ،،

كل ضعف لا يأتي بانكسار يصير قوة تدفعك للأمام وأنا أتقدم في كل يوم وتصير ذكراك كالسراب فلا أعول على ردك أو حتى مجرد قرائتك لا تعينني . .  
عزيزي لم يعد لدي أي عزيز . . فقط من يتعدون يقعون هناك .

عزيزي البعيد ،،

مساء الخيبات المتعددة والفشل المتكرر والوجع، مساء فقدك !  
الأيام تمر وترتيب غرفتي كل يوم يشبه ترتيب دواخلي، نُحِي الذكريات بجانب واحد تمهيداً للدفن ثم التأين . .  
تموت الكواكب والنجوم وتندثر ولا يتأثر الكون، ويموت حب بقلب بشر فيهتز العالم بداخله وكأن الكوكب قد انزاح عن مداره كاملاً،  
نعم يا عزيزي لم ينزاح لفقْدك أنت بل انزاح لفقْد قلبي، ففقْدك أنت كان بمثابة ورقة سقطت من دفتر محاضرات تلميذة بالثانوي .  
ورقة كل أهميتها تكمن في الوقت الذي فقد للرسم بها، كان رسماً غير مفهوم لذا فقد له مدلول فلم يتأمر الكون عليها بل كانت  
هدية كونية كي توجه جل تركيزها نحو ما بقي معها وما سيفيدها .

بالأمس -وعلى غير عاداتي- كنت استمع للإذاعة ثم حكى المذيع السخيف حكاية تبد وأكثر منه سخافة عن فتاة ما خسرت  
حبيبها فخسرت حياتها وتجدت بموضعها منتظرة قبلة «سنو وايت» منه التي ستعيدها للحياة، وما غفل أن يذكره أن الفتاة بقيت  
مجمدة إلى يومنا هذا !

قامت حضارات وحروب وانتهت عصور وهي لاتزال على قيد انتظار قبلة ممن رحل بالارجعة !  
فعلت أن أبقى على عهدي والأعيد الاستماع للإذاعة مرة أخرى، سأعيد ترتيب اسطواناتي القديمة وفقاً لعمق الوجع الكامن  
بها .

اشعل الشموع المعطرة باللافندر والفانيليا فتفوح رائحتها لتأخذني لمكاني الخاص السحري الخالي منك، فأعيد تعلم رقصة التانجو  
وحيدة، وبالخبية مظهر من يرقص التانجو وحيداً ولكن ذلك طبعاً لا يهم فلن أجد من تتخبط قدماه بقدماي كل ثانيتين لعدم قدرته على  
الالتزام بالعد !

سأشرب مشروبي المحلي بجوز الهند وأدخن سيجارة وأرسم واستمع لأغاني تكرهها أنت ثم عند مقطعي المفضل بالأغنية سأقوم  
بشعري العجري لأرقص وأنفض عن كاهلي ما يخصك بي ثم ينتهي مشروبي فينتهي وجودي بعالمي معه .  
أبس أساوري المزينة بالحلى أحدها يشبه القفل، كنت تحكي لي عن السور الموجود بأحد البلدان الأوروبية والذي يضع عليه العشاق  
قفلين مغلقين على بعضهما وكل قفل يحمل اسم واحد منهما رمزاً لبقائهما معاً للأبد، فأحكي لك أن قفلي مغلق على نفسه ولا يحمل أي  
أسماء غير اسمي نظراً لأنه لا ينتمي لأحد فتغضب .

انظر له الآن يابتسامة منمشية بالسعادة، حكايتي صحت وحكايتك كانت مجرد أسطورة لا سند لها على أرض الواقع .

فمساءً يأتي للعام الألف بلا وجهك . .

عزيزي البعيد ،،

انفصلنا

لم يتغير طعم القهوة

لم يتغير لون النهار

لم أكره الشتاء

لم أنفر من الشوارع التي مررنا بها

لم أكره اللون الأحمر

لم أكره سهر الليل - حتى ولو كنت وحيدة -

لم يتغير طعم الشيكولاتة

لم أكره الكوب الذي أهديتك شبيهه

لم أنساك . .

بل أتناساك

أشرب القهوة بالكوب الذي صار ملازمًا لي ولا أبالي بأنني أنسج في خيالي الآن صورة يدك وبها الكوب وبها قهوتك ثم وجهك وهو يحترقني ويفكر بي، ويضحك . .

أمر من الشوارع التي سبق ومررنا بها ولا أبالي بأنني في خيالي أرانا نمر وأرى ابتساماتنا وضحكاتنا ويدي وأنت تدفئها بجيب معطفك ونظرات الحاسدين والمبتسمين من حولنا . . أمر وأرانا وأتجاهلنا . .

أعلن حيبي للشتاء وللأمطار وأتناسى حبك أنت أيضاً للشتاء وللأمطار، أقف تحت المطر وأعلن للعالم أنني متحررة من ذكراك، ثم أخبرها داخل معطفي مجرد حتى لا يلمحها أحدهم فيصرخ للحضور أنني كاذبة . .

بت أكذب بمهارة فائقة فلا يدري من يراني باللون الأحمر أمنيته أن أقفز الآن بداخل النهر وأتوارى داخله فلا تلاحقني أعين ولا اسمع أصوات وأبقى أنا وتجاهلي إياك بقاعه وحدنا . .

أسهر ليلًا ولا أبالي بصوتك الذي يملأ رأسي وصوت ضحكك التي تتعالى حولي، أصم أذناي عن كلمة أحبك وأتجاهلك، أسهر ليلًا وحيدة وأتجاهل وجودك بالعالم ولا أنكسر أو أضعف . .

أتناساك ولا أبالي وأتجاهلك وأعيش وأرتدي ابتسامة يُعجب بها الجميع وأزين عيني بكحلٍ كثيف يداري آثار بكائي بالأمس وأنا أتجاهلك . .

تتواجد بالعالم أنت الآن، بعالمك أنت ولا أحضر فيه أنا ولا يتقاطع عالمانا مرة أخرى نسير بالكوكب منفردين أحدا لا يملك الآخر  
وتجاهلنا ولا نبالي بكل ما رميناه وكأنه لم يكن . .  
يدور الكوكب ولا يبالي بكل الذكريات الموجودة في شقوق جوانبه، يُخفيها العشاق كما يُخفي الأطفال قطع الحلوى عن أعين أمهاتهم  
وحين تلتفت عنهم يخرجون منها القليل ليأكلوه سريعا ويمسحون آثار وجوده من على أفواههم ثم يمضون يرحون ولا يباليون . .  
هذا كوكب لا يبالي بكل من يسكنه ولذلك بت أشبهه ولا أبالي . .



عزيزي البعيد ،،

فلنفترض واقعا مغايرا لما نحن عليه اليوم، لم اقابلك يوماً ولم تعثر أنت بقلبي .

\*\*

أنت الآن تعيش مع زوجتك وأطفالك الأربعة أسميتهم جميعاً بالأسماء التي كنت تخبرني دوماً أنك كنت تحبها فبعض الأشياء لن تتغير كما تعلم، زوجتك امرأة لطيفة رشحها لك بعض أصدقائك بعد أن كنت تشكو لهم الوحدة وعدم قدرتك على اكمال غدائك كاملاً في يوم لأنك تحرقه كل يوم، تزوجتما سريعاً كي تجد من يقاسمك فراشك، لم تحبها ولم تهتم هي لذلك فليها أطفال يشغلونها عن العالم وأولهم أنت، تدخن بشراهة وتهوى الجلوس مع أصدقائك بالمقهى أكثر من الوقت الذي تقضيه بمنزلك مع زوجتك وأبنائك .  
يرأمام مقهاك كل يوم فتاة جميلة تنظر لها أنت وتنظر لك هي ولا تعلقو عيونكما أي بادرة لاهتمام فقط نظرات زجاجية تتبادلها يومياً وكأنه ورد كما اليومي، الفتاة الجميلة هي أنا .

أنا لم أتزوج ليس لأنني أحفظ عهدي لذكري هوانا فبالعالم هذا لا وجود لهوانا من الأساس، أنا فقط -وكما كنت أطمح دوماً- روح حرة لا ترغب في أن يُثقل وجودها بالعالم شخص أناني متطلب كل طموحه ارضاء ذاته .

\*\*

لماذا أحببتك ورغبت في اكمال ما بقي من عمري معك لا افهم ذلك حتى الآن !!

\*\*

المهم، الفتاة الجميلة تنشغل ذات مرة بهذا الرجل الذي يرمقها دوماً بنظرات فارغة فلماذا هو الوحيد الذي ينظر لها بغير اهتمام ولا اعجاب فتحتار لأمره .

\*\*

ربما أيضاً في هذا العالم سأقع بغرامك لتنهاري في قلبي !

\*\*

الفتاة الجميلة أيضاً تدخن ولكن ليس كثيراً فهي لا تحب الالتزام الذي يأتي في شكل إدمان لشيء كالسجائر فتبقى تحت رحمتها ورحمة رغبتها في المزيد منه، هي فقط تدخن حين ترى لديها الرغبة في ذلك .  
ذات يوم وهي تمر من أمام المقهى وتضع السيجارة في فمها وتهتم بإشعالها تتوقف لأنها لا تستطيع إشعالها فيُسرع الرجل ذو النظرات الفارغة ليُشعلها لها ويشعل اللهب في أعينهما فتصير أخيراً نظراتهما ممتلئة بشيء قوي وغير فارغة . .

\*\*

ربما ما ألتقنا ببعضنا يوماً كان لهب اشتعل بنا فأصبحنا منسجمين وما إن انطفأ اللهب انفصل كل منا عن الآخر وصار فارغاً  
ووحيداً . .

\*\*

لا يرغب الرجل في أن يصير خائناً لزوجته ولا تُريد هي أن تُصبح المرأة التي توصف دوماً «بالعهر والشر» في كل القصص التي تنص  
عن مثل هذه المواقف، فتشكره على إشعاله السيجارة لها وما يلبث أن ينطفأ اللهب فتعود نظراتهما فارغة ويمضي هوليُكمل  
جلسته المملة على المقهى وتمضي هي لتحضر حفلة مع صديقتها .

\*\*

في كل كون مواز نرسم به حكاية لأناس تُشبهنا، سنشتعل لبعض الوقت ثم ننطفئ، فالأقدار يا عزيزي لا تتغير في أيّ من العوالم التي  
نهرب إليها .

عزيزي البعيد ،،

تمر الأيام ويبقى السؤال الذي يدق كالساعة برأسي: لماذا لم أبكيك حتى الآن؟  
يُقال أن من طقوس التطهر من العالقين بنا بعد الفراق يأتي البكاء كأهم ما يمكن لك أن تقوم به كي تُشفى روحك وأنا حتى الآن لم أبكي فراقك وكأنه لم يكن!

جائني الخبر كحِملٍ ثقيلٍ رُمي فجأة فوق كاهلي فتهدلت ولم تعد أرجلي تستطيع حملي فسقطت في هوة عميقة من اللاشيء، تمر الأيام ويعلو ويهبط القمر بالسماء ويأتي ربيع ثم ألف خريف وأنا لا أدري بأي عام ولا من قابلت بالأمس ولا لمن ابتسمت وبماذا جاملت وماذا قلت وأين ذهبت أنا فقط أتواجد كخيال طيفي يُشبهني كثيراً ثم فجأة قررت أن أصعد من الهوة، هكذا وببساطة . .  
ومنذ ذلك الحين وللتنهار التالي للمائة بقليل وأنا أتواجد مجيأتي وأمر بالأصدقاء والمواقف المختلفة ولا أبكيك، افكر ليلاً وأنا أجلس وحيدة أن أناجي الله فيأخذك من قلبي ويقذف في قلبك كحجم وجعي الضعفين ثم لا أملك لساني بعدما أقرر قدمع عيني ويلهج لساني بأن الله حسبي وكفى!

كنت أظن أنني سأصرف بشكل رتيب، يمكن أن أقابلك في أي مكان بأي وقت ولن تلتفت عينا لي لوجودك ولن يشتعل الرادار بقلبي معلناً حضورك ولكن متى نظمت لما نظن أننا نشعر به؟  
كنت أظن عدم بكائي هو اعلان للصقيع الذي غلف قلبي ولكنه كان العكس تماماً فقد كان هو النار المشتعلة ولن يطفئها سوى البكاء الذي لا أقوى عليه. أريد أن أجلس لأستحضر كل موافقنا ثم أبكي كما سبكي الأرض يوماً على فقدتها لجمالها على يد من أحببت من البشر، سأتحب كما تتحب النساء على فقدهن لربيع العمر وسأبكيك كمن تبكي فقدتها الذي يفوق احتمالها .

أعلنها في بداية كل يوم أنني نسيتك لأكذب نفسي في نهاية كل يوم بأنني لا أستطيع بكائك حتى، أمثل الحياة كي يتركني الجميع في شأني الخاص كمن تجلس لتجد حل لكل تلك الخيوط المتشابكة، متهمة القيت فيها عنوة ذات مساء ولم تجد سبيل للخروج منها يوماً، تنلو على روحها كل يوم صلاة للحب عليها تشفع لقلبها فيدق من خلف النيران المتقدة ولكن يقف عدم بكائها كالشيطان بينها وبين التوبة. أنساك في كل دقيقة من كل يوم ولا يذكرني بك شيء فلقد أخفيت كل ما يُشبهك من حولي عدا قلبي، لا يُذكرني بك سواك ولذلك نسيتك .

أغيرني في كل يوم في محاولة للتواصل مع روحي أنا، محاولة لم يد مساعداً لتلك التائهة حتى تعود وتمضي مجيأتها كما مضيت أنت، في كل ليلة يا عزيزي لا أحداث عنك القمر ولا أعدّ النجوم ولا أقطف أوراق الأزهار في محاولة للوصول لحقيقة حبك لي فأنا أعلمها تمام العلم بالخطوط الذائبة في كف يدي، تخبرني والدتي أن ذوبانها دليل على غموض شخصيتي فأضحك وأنا أردد داخلي أنني كنت أوضح من بالكون معك ثم أصمت .

أمد يدي ولا أصلي، أبحث عني ولا أجد سوى أيدي تتناقل جسدي كما في حفلات الروك الشهيرة وأنا شبه غائبة عن الوعي، أتذبذب بين الوجود بهذا الكون والتواجد بالكون الذي أرسمه وألونه وأضيف عليه وأحذف منه وأعيش به كل يوم.

سأتواجد ذات مرة في الكونين معاً ثم تندمج روحاي من كل كون وأصير ملونة كما أنا في كوني الآخر ومتواجدة أيضاً بين البشر في هذا الكون ثم تضحك لي الفراشات هناك فأضحك أنا لمن حولي هنا فيظنونني سعيدة ويتركونني مجدداً وشأنني .  
وسياتي يوماً لأشارك أحدهم في الكونين سيكون ملوناً وسيكون سعيداً مع الأرانب وسيكون مبتسماً دوماً للدببة وسيمسك بيدي جيداً ونحن نعبّر الطريق حتى لا تدفعنا عربة طائشة فتفجر منا الألوان كهوس قزح، سيعتني بالكونين معي وسأعتني به وسأحبه ولن أبكيه يوماً لأنه لن يتركني يوماً فمن يتسم للدببة عزيزي يملك قلباً هشاً كالسحاب لا يملك القدرة على كسر قلب غيره فلهذا سيكون حاضنه دافئاً وسيقبلني دائماً تحت المطر وسيحب الذهاب إلى مدينة الملاهي ويحب ضحكات الأطفال ويتمنى أطفالاً تشبهنا وسأبكي فرحاً معه وأبكي حزناً حين يكون للحزن بجياتنا مكان ولكن في كل حالة سنكون معاً، سأحبه وسيصير الكون جميلاً يستحق التواجد به دون البحث عن دمة هاربة .

عزيزي،،

سأبكيك غداً وبعد غد وكل يوم وحتى ينشق القمر، سأبكيك وأنا بين ذراعي رجل آخر وسأبكيك وأنا أبكي نجاح أبنائي وسأبكيك وأنا اتنفس للمرة الأخيرة وسأبكيك دوماً وسأناك دائماً . .

عزيزي البعيد ،،

تعلم أنني أملك تلك العادة السيئة في الكتابة لمن لا يقرأ، وها أنا أجاري نفسي وأكتب لك للمرة الخامسة بعد المائة أو ربما تكون الخامسة فقط فأيضاً ليس لدي حاسة جيدة تجاه الأعداد، لكنني متأكدة أنها المرة الأولى التي أكتب لك فيها لأحكي لك شيئاً عن شخص لا يخصك ولن يخصك ولن تهتم به كما لم تهتم بجيأتي - كما اعتدت منك - ولن تقرأه - أيضاً كما اعتدت - ولن يهمني كثيراً أن تقرأ بل يهمني أكثر أن أكتب وبالأخص أن أكتب عنه .

ليلة أمس اكتشفت من داخل إحدى نوبات الغضب التي باتت تصيبني كثيراً مؤخراً أنني أهتم لرجل غيرك ! غاب عني لوضع ساعات كنت أجلس لأعد دقائقها بكل دقة، لأدري كم رسالة كتبت لك ولكن أدري أنه غاب عني ل ٥٣٥ دقيقة كاملة، لم أعلم أين يتواجد ولم يرد على هاتفه ولم يكن بوسعي سوى القلق والجلوس لانتظاره وبين هذا وذاك افتعلت شجار مع والدي دون أي سبب واضح سوى أنني كنت أريد أن أتشاجر مع غيابه هو ! أكتب لك عزيزي لأخبرك أنني ربما أحب، أو أنني ربما أحبه .

لن تقرأ هذا ولكنك ستشعر ذات ليلة بالمتضاعف يشبه انسحاب الروح من الجسد، ستكون أطرافك باردة وربما تصير شفئك زرقاء قليلاً ثم تنسى للحظات كيف تتم عملية التنفس ففي هذا الوقت عزيزي أكون أنا أغادرك لأسكن غيرك . أهتم له ولا أهتم لك أكتب لك فقط لأخبرك عنه ولا أبحث عن موافقتك ولا أبحث عنك ولكنني حتماً أبحث عنه وعن صوته وأشتاقه حقاً حين يغيب .

عزيزي ،،

أخبرتكَ ذات مرة أنني سأموت جراء انفطار قلبي فضحكت لسذاجتي فرحت أقص عليك حلقة من مسلسل كنت أتابعه وعرضوا به رجل أتى للمشفى بورم يحيط قلبه مما يجعله يظهر وكأنه قلب مفطور فعلاً وليس كما تحكيه وتخيئه الروايات فأخبرتني أنك ستحافظ على قلبي، الآن أضحك أنا على سذاجتي . .

عزيزي ،،

أنا على شفا حب وتعويدة جديدة ستلقى اليوم:

«أيها الراقد بعيداً سيأتيك الليلة قلب وحيد، اشفيه من غادره وبارك حب من غادره لغيره، يا صاحب الميدالية ذات القلوب الفضية احفظ نغم صوته حتى تحفظ له أنفاسه واعط لها من أرواح القطط سبعاً كي تقدر على تحمل معاناته» .

عزيمي،

السحر غير حقيقي والحب أيضاً يشبهه ولن يتحقق أياً منهما إلا بتصدقك إياهما، أنا أصدق سحر الحب وأنت تصدق أن الحب سحر، سيتحقق لي وسيغيب عنك لاعناً غباثك .

تصدق على قلبك ببضع قطرات من الندى لربما تدري بكيف يسكر الحب القلب وينحي عقلك عن القيادة . تنساني وتمضي واضعاً سنوات عمرك فوق كفاك وأنسك وأضع قلبي على راحة يدي يقبله غيرك مجنون فيصير كالعصفور بيده، تهجرني وأهجر ذكراك وأحب . تنسى أن تقرأ فأنسى أن أكتب ونعيش .

أضع النعناع الأخضر بالشاي وأشم رائحة عطور وأجعل الشمس تلقي السلام على وجهي وأشعر بأشعتها تُقبلني وأستمع بكل لحظة وأحب .

أشواق وأقلق لأجل غيرك ولا يقلقني أنت .

عزيمي،

أنت بعيد وأنا بقربه فابق هناك . .

عزيزي البعيد ،،

فلنتحدث اليوم عن العادات السيئة والإشارات التي يُلقى بها الكون في طريقك ويتم اهمالها .

لدي عادة سيئة في التأمل بوجه من حولي في أي مكان أتواجد به ثم محاولة رسم حكاية تليق بكل وجه، مجرد تخيلات يظنونني خلال مرحلة التحديق تلك مجنونة أو معجبة على حسب تفكيرهم فالخيال بمجتمعي خطيئة يجب وأدها في المهدي فهم يخافون من الطيران بعيداً ويربط كل منهم قدمه بحجر ثقيل يبقيه دائماً متواجداً وثابت بقاع الحياة .

وهناك عادات أخرى كإشتياقي وتشبثي باللحظات ووجوب رسم كل لحظة بعقلي قبل أن تحدث، ولدي عادة في رسم طرق خيالية تنتهي جميعها إلى السماء ورسم أرجوحة بجانب القمر ولدي عادة عدّ النجوم ولكن أصبح وجودها شبه منعدم في سماء العاصمة، ولدي عادة الكتابة إليك ولدي عادة الصمت أمام من أعلم يقيناً أنه يتلو أكاذيب وعادة الكلام القليل وعدم القدرة في أغلب الوقت على التحدث بما أفكر أو أشعر به وأكتفي بالابتسام والصمت، ولدي عادة الخوف فأخاف مما يمكن أن يحدث مما يُفسد عليّ ما يحدث فعلاً، ولدي عادة التنظيم الزائد للأشياء حولي وكان الكون سينهار أن لم تكن جميع الأشياء مرتبة ومنظمة ومتساوية، وعادة السير في طرقات لا أعرفها كي أعرف عليها فتكبر الخريطة برأسي، ولدي عادة الاستماع لأغنية تعجبني حتى أملكها ولدي عادة الانغلاق على نفسي في لحظات الأكتئاب وكان الكون قد توقف عن الحركة، وعادة الانغماس بكل شيء حد التطرف في السعادة والحزن والغضب وكان الأشياء لا تمتلك معناها إلا إذا وصلت لأقصاها، وعادة السفر داخل رأسي فلقد سبحت مع الدلافن وذهبت للقطب الشمالي وزرت حديقة الحيوان المفتوحة بجنوب أفريقيا وأكلت الآيس كريم عند نهر السين ولففت العالم في ٣٠ دقيقة ولم تنقطع أنفاسي، ولدي عادة أخرى في عدّ دقائق غياب من أحب عني وعادة التعلق بهم بما ينهكني ويجعلهم يتكبرون على حيي فهو بنظرهم لن يزول وعادة الابتعاد المفاجئ عن الجميع أو الاقتراب حد الالتصاق من الجميع، ولدي عادة أخرى أود التخلص منها سريعاً كالكتابة إليك ولدي عادة أخرى أود التخلص منها بشكل أسرع مثل تذكري للحظات معك وأنا بمكانٍ عام لا يسمح لي بالبكاء !

لدي عادات سيئة كثيرة يبقى أكبرها هو الكتابة إليك !

لدي عادة في التركيز مع كل ما يحدث حولي، وعادة التفكير بشكل زائد يؤلم رأسي ويجعلني أرافق الأرق كثيراً، ولدي عادة سيئة كعدم الاحتفاظ بالأصدقاء لفترة طويلة ولدي عادة الملل سريعاً، أزهّد الأشياء سريعاً ولكنه لم يحدث معك يوماً ولذلك يجب أن أتخلص من معظمها وأكبرها أولاً .

ولنحكي قليلاً عن الإشارات المهمة، بطريقنا يومياً عدة لافتات للطريق الذي يجب عليك أن تسلكه وبجياتك وعلاقاتك دائماً هنالك لافتة ما تطلعك أي اتجاه عليك أن تسلكه، تخيل موقف كالتالي أنت تتشاجر مع والدتك ثم بعد عدة دقائق تنطلق أغاني عن وجوب إرضاء الأم من كل اتجاه حولك أو مثلاً تكون أنت متردداً في قرار الانفصال عن أحدهم فتجد كل الوسائل حولك تطلعك عن طرق المحافظة على الحب ومحاولة تجديده أو تجلس في مكان جميل مع صديقة لك وأنت تتردد في أن تخبرها بكل ما تكتبه لها وعن ما تشعر به تجاهها فتجد الإذاعة قد قررت عنك أن تراجع عن ذلك فهي مشغولة بغيرك أو أن تأخذ خطوة للأمام وتشجع وتخبرها لأنها تنتظرك . .

اللافتات تملأ الطريق حولك ولا عليك سوى معرفة كيفية قرائتها وأنا تعلمت ذلك فقط مؤخراً فقد فاتتني لافتات كثيرة في طريقنا أو عرفت وفهمت وقررت تكذيبها وهذه عادة أخرى عليّ التخلص منها كما على التخلص من عادة الكتابة إليك . .

عزيزي البعيد ،،

كنت بجواره اليوم وأحببت نظرتي إليّ وأحببت طريقة نطقه لاسمي وأحببت ابتسامته وأحببت أنني نسيتك ولم أضعه في مقارنة معك ولكن ما أن تركته حتى زحفت العادة السيئة لقلمي وجئت أكتب لك عنه .

فتوقف عن اقتحام عاداتي !

توقف عن اقتحام يومي !

عزيزي ،،

سأخلص من عاداتي وأتوقف عن الكتابة إليك !



عزيزي البعيد ،،

\* من يومين وأنا في طريقي للبيت اشترت غزل بنات كان في بالي بقالي كام يوم أني اشتريه وبالصدفة ركبت الميكرو باص لقيت قاعد جنبي ولد من اللي ببيعوه، تفكر الصدفة دي ممكن تتكرر في طريقك كام مرة؟  
خصوصاً عن حاجة كان نفسك بيها، ليه لما بيبقى نفسي فيك مش بفتح باب والأفيك قدامي مثلاً؟

\* كنت بصور وبعدين حسيت الكاميرا فيها حاجة غلط أو عينيا اللي غلط يمكن كنت في كل صورة لما بصور في الزحمة بشوفك زي طيف واقف بين الناس، البعيد دائماً يطاردنا وعقلنا ما يسيبوش يبعد عنه زي ما يبعد بجسمه . .  
العذاب بقى أنك طلعت فعلاً في صورة منهم وأنا بصور في المترو، وبعدين وأنا تراجع الصور استغربت أنك كنت باصص للكاميرا يعني كنت شايفني ولما جيت أدور عليك مكان ما صورتك ملقتكش، تفكر أنت نسييتني مش فاكرني لدرجة أنك تشوفني وتبص عليا وما تجيش؟

تفكر أن المطاردة اللي شغالة في عقلي دي مش هتخلص ومش هتخلص منك؟  
مخي لازم يعترف بنسيانك زي ما قلبي مفرقش معاه في عدد دقائقه لما شاف صورتك، يمكن لأن نظرة عينيك كانت باهتة بطريقة توجع ماتحليش حد يشناق، عموماً كويس أنك مسلمتش أصلاً مظنش كنت هلاقي كلام أقوله أكثر من ازيك والحمد لله وابتسامه مجاملة وأشوفك بعدين أو مش ضروري وخلي بالك من نفسك وبس زي أي حد بتقابلته وتبقى عاوز تسيبه وتمشي وخلص، مكش ينفع تنزل للمكانة العادية أوي دي.

\* في واحد من أحلامي كان عندي حيوانات كثير وكنت عايشة لوحدي وبجب أتمشى مع الكلاب بتاعتي على البحر كل يوم الصبح، كنت مكفية جداً بنفسي ومبحسش في أي لحظة أني ناقصني حاجة أو حد، كنت بشتغل وبعمل وقتي دائماً مجاجات مجبها كنت برسم ويلون وبصور وبكتب وبقرا وأسمع ميكا وأغاني ونجح وبقابل ناس جديدة طول الوقت وبروح أماكن جديدة وسافر كل فترة، كنت مكفية وراضية جداً وصحيت مبسوفة جداً في اليوم ده.

لوحده سألني نفسي أعمل ايه أو شايفة نفسي إزاي خلال كام سنة جاية مش هلاقي أنسب من احساس الاكتفاء اللي كنت حساه في الحلم ده، مش هلاقي أحسن من أني أحقق الحاجات اللي نفسي فيها واللي أنا عاوزها وأنا سعيدة وراضية وكنت نفسي جداً ولا بتلون عشان أرضي حد ولا بكرمش روجي عشان تناسب فكرة حد عني ولا بمثل سندريلالي مستنية الأمير ينقذها، كنت سعيدة لأنني كنت أنا أنا مش رسمة حد عني . .

\* كنت بتخاف دايمًا من الاحساس اللي بيوصلك مني اني ممكن في أي وقت أعيش لوحدي ومع نفسي عادي، ممكن يبقى حواليا بشر كثير جدًا وأنا واقفة راسمة لي عالم لوحدي يفصلني عن الكل وكثير جدًا جدًا مكنتش بسمح لك تدخله، كان ليك حق تخاف وكان ليا حق أخافك، عارف أن غالبًا اللي يبقوا كده مع نفسهم عندهم سينسور فطري تجاه الناس زي الأطفال وفطرتهم تجاه البشر، يعني لوحدهم معجبهمش رغم أنه باين شخص هایل يبقى هو فعلاً مش كويس بس بيمثل أنه كويس، كان ليا حق مدخلكش العالم بتاعي طول الوقت لأنك كنت هتلوث فطرتة ومكنتش هيبتقى بتاعي تاني زي ما كان . .

عزيزي البعيد ،،

في خيالي قتلتك خمسة عشر مرة، وفي خيالي قبلتك على شفاhek عشرون مرة ثم طعنك أربعين مرة، وفي خيالي جلسنا سوياً لناخذ قهوتنا الصباحية على أنغام غناء سيناترا على شواطئ كاليفورنيا ثم أغرقتك في البحر، تخيلتك هائماً على وجهك فأنتدك من تيهك وتخونني فأقتلك وربما أقتلها، في خيالي لعبت دور الأرملة السوداء معك كثيراً، كنت أحبك ثم أقبلتك وأقتلك .  
في خيالي انتقمت منك مراراً وفي واقعي لم يكن لذلك أي أثر أو تأثير، يلومون عليّ الكتابة إليك بعدما تعهدت أن أتوقف ولكنهم لم يلوموا الشمس على سطوعها اليومي ولا القمر على بهائه ولا يلومون كل قلب ينبض على وجه البسيطة ويبدو أنني لن أتوقف فلقد أقررت الآن أن الكتابة إليك طقس اليومي فهو ضروري كسطوع الشمس .

سيكرهونك عزيزي أو ربما كرهوك الآن وسيكرهون حزني وسيكرهون كتابتي إليك وعنك وبك وسيكرهون أن تبقى وفيًا في أمر ما تجاه شخص بعيد كما يكرهون أن تحدثهم عن الحب بالأساس فيجب عليك أن تتحدث عن أشياء مفيدة فلنعطهم مثلاً طريقة عمل كيك لذيذ ربما هذا أفيد من الكتابة إليك، خبزت كيك لذيذ بالمناسبة منذ عدة أيام تعلم أن الخبز يزيج توتري ولهذا أهرب إليه كلما شعرت بالضغط تتزايد فوق رأسي .

سيرجموننا بمخاطبة الحب كما يرجمون الملايين يومياً بأعينهم وألسنتهم في الطرقات وعلى التلفاز وصفحات الانترنت، سيطلبون أن أتحدث عن مجاعة الصومال أو ربما لأضع كل طعامي جانباً فأتعاش بحق كما يعيش أهل الصومال فمن رحم المعاناة ستولد الحياة، سيضغطون كي تصير مثلهم، نسخة من أحد والديك أو نسخة من أي أحد وتنضغط داخل قلبك وترجمهم من ثرثرتك الفارغة عن الحب فعن أي حب تتحدث والعالم ينهار وعالمك يبدو وملوناً أكثر عن عالمهم الرمادي فتأقلم معهم والارجموك .

عزيزي ،،

سقطت في الماء وأنا لا أدري السباحة ولكن جسدي لطفاً وكانت تجربة مثيرة، لم أكن أريد الانتحار ولكن كنت أريد تجربة السقوط فقط ومقابلة المياه لجسدك بقوة وتخبطك للحظات ثم الطفو، الأدرينالين يفعل العجائب بك في هذه اللحظات فشعرت وكأنني سأعبر المحيطات وليس فقط ذلك النهر الصغير .

فقدت حياتي خمسون مرة ولا مجال لفقد جديد، فقدتها مرة لكل انهيار ومرة لكل انكسار ومرة لكل مرة عرضتها للفقد ولم أفكر في استعادتها، أغيرها وكأنني أبدل ملابس، أصحوفي نهار كئيب وأقرر أن تقتلع شخصيتي اليوم ولا تعود وكأنني أقتلها وبالفعل لا تعود، ولكن تبقى مخزنة بعقلي ولذلك يملك عقلي قبيلة متناحرة لا تتوقف عن الشجار فكل فرد يريد الغلبة وعصا القيادة ومن قتل لا يملك أن يقود فيجن جنونهم وتنبثق عنهم ألوان قوس قزح بدلاً من الدماء وأتشي .

عزيري البعيد ،،

خذلتي فخذلت نفسي وخذلتي وعودي وكلماتي وخذلته وعدت أكتب لك، لكن ما يفرحني بحق أنني لا أكتب عنك شيئاً لذلك  
عزيري لن أكرر قرارتي ولن يُهمني أن أبدأ كتابتي بمناداة البعيد فلن أحدهه فالكل بعيد .

لذا عزيري البعيد بمسافات عن حضور قلبي ستتكرر في حياتي وكأنك تُنسخ بأرواح عديدة في أناس حولي ولكن من يبقى سيبقى  
لأجلي ولن يكون مثلك فلنكتب مناجاة لأي بعيد ونحيا احتفاء بكل قريب . . ونحب . .

عزيمي البعيد ،،

اليوم أنا سعيدة، لن أكتب لك ما أسعدني ولن أكتب لك في الأساس .

دُمت بعيداً .

عزيزي ال . . . .

لن يعينني تقدير المسافات هنا، فلنترك الأمر للخيال .

عزيزي،،

تُفيدنا الأناية أحياناً، أكره الأناية طوال حياتي ولا أفكر بما يُفيدني ولكن أفكر بمساعدة الآخرين والاهتمام بهم وباحتياجهم ووضع احتياجاتي دوماً جانباً ولكن بت أفكر بما سيفيدني ومن سيهتم بي وبما أحتاج وعندما توضع أفكاري هذه محل التنفيذ تعود ربما لعادتها المفضلة القديمة،  
بت أكره ربما يا عزيزي وأود لو قتلتها وتخلصت من ضعفها هذا فنحن نكبر وتغير يا ربما حتى نكون أشخاصٌ جدد لأن تقع مجدداً في العادات التي تقتلنا ببطء .

أود لو بقيت على الجانب المظلم من شخصيتي في بعض الأحيان، فلكل منا جانب مظلم كالقمر وبالجانب المظلم نخفي كل تناقضاتنا التي لن تظهرنا بالصورة الجميلة الكاملة التي يود الجميع أن يراونا بها، أود أن أكون أناية ولا أهتم وأقسو ولا أحن أن أسرق وأكذب بل ويمكنني أن أقتل بدم بارد أيضاً ثم أبتسم وأكمل طريقي بلا أدني شعور بالذنب أو المسؤولية . نبقي الجانب المظلم مخفياً إلا في حالة أردناه أن يساعدنا في أن نمر من موقف معين .

أقف أمام المرأة فتأثيني منها برودة قاسية فأحتضن نفسي وأنا أنظر لانعكاسي بشفقة ثم أبكي،  
كم من مرة وضع ذراعاه حولي وضممني بقوة وقبل رأسي ثم وعدني ألا يتركني وحيدة أبداً؟  
وكم مرة صدقته وأنا ابتسم ابتسامة المنتصر الذي وجد كثره أخيراً ولن يفقده؟

أعبر الطريق فتلطف أصابعي في الهواء تبحث عن أصابعه فلا تجد سوى الفراغ فتعبت بالخاتم بدلاً عن العبت بأصابعه، عادة توتر مكتسبة حديثاً تبقى يدي منشغلة عن البحث عن المفقود .

من تُبتر ساقه أويده يبقى يشعر بالمها وكأنها لازالت موجودة، ومن يُبتر منه حبيبه يبقى يشعر بالمه وكأنه لازال هنا ولكنني لا أشعر بك حقاً ولا أقلق حتى ولا يهمني كثيراً وما يهمني هو لماذا لم أعلم منك الأناية ولو قليلاً؟

لماذا لم أتخلى عنك أنا وقد رأيت كل العلامات على اقتراب النهاية قبل حدوثها؟

لماذا لم أعلم أن أنفضك عني بكل سهولة ثم أقف ولا أنظر خلفي وأستكمل طريقي بكل براءة أملكها أن كان هناك ذرة من براءة باقية بعد !

لم أتعلم الأناينة يا عزيزي ولازلت أهتم بمن يتركني ويمضي ولازلت أبحث فقط عن يعطيني الأكاذيب المغلفة بأغلفة مبهرة وجميلة فأبتلعها وأنا مبتسمة وراضية رغم الطعم المرير الذي يظهر بعدها .

عزيزي البعيد ،،

لما تقدير المسافات وقد تخيلني بين ذراعاك الآن تلقني كذبة جديدة عن بقائك بجانبني وقد أتخيلك كُبعد الشمس التي أكرهها عني !  
لما الكتابة إليك في الأساس ولما الاهتمام بمن لا يهتم !

أخبرهم جميعاً أن يتركوني وشأني تماماً كما فعلت أنت فيخبروني المزيد من الأكاذيب عن كيفية عدم تشابه أصابع اليد الواحدة أنا أعلم أنها تختلف ولكنها تبقى لنفس اليد يا عزيزي . .  
نفس يد الكذب واحدة وأن اختلفت في شكل أصابعها .

عزيزي البعيد ،،

تأتيني صور ضبابية عنك من بين الخيالات الكثيرة التي تحتل رأسي في وقت اكتأبي، تتكاثر الدموع بعيني ثم تنهمر دفعة واحدة وأنتهى فأجلس لأضحك على جنوني المؤقت، أتذكرك الآن في أكثر أوقاتي ضعفاً فهكذا هي الذكريات التي تفتلها تتسلل إلينا في غفلة وحين نكون في أقل أوقاتنا تنبهاً، تأتي كالدهان الأسود الذي يلوث لك منظر أفقي رائع للغروب، تنهال على جثتها الرابضة بمكانٍ ما بعقلك بمزيد من الضربات لكنها تظل تنفث سمومها في عقلك . .

عزيزي البعيد ،،

سبق وأن رميت وجهك في بطانة حقيقتي حيث لا تذهب يدي أبداً، وضعت الكتاب الذي أهديته لي بالرف السفلي وفوقه عشرة كتب تمنع يدي من الوصول إليه، ألقيت بأشياءك لأناس لا أعرفهم حتى لا تقع عيني عليهم بالصدفة المدبرة مني، احتفظت بنفسني التي تكونت معك في إناء زجاجي يكسر عند الحاجة إليها ولذلك الإناء ما زال سليم حتى هذه اللحظة، وبالتالي لا أستعمل أياً من الكلمات التي سبق وأن التقطها منك ولا العادات التي تكونت لدي معك وأصبحت ١٠٠٪ خالية منك ولكن تبقى عادة الكتابة المجهولة تلك . .

عزيزي البعيد ،،

يظنون أن كتابتي لك تنبع من حب لا أود الاعلان عنه ولا يعلمون أنها تنبع من مجرد كوني أكتب وأود أن أوجه حديثي لشخص ما ولذا اخترعت «البعيد» الذي هو خليط من كل بعيد ابتعد في وقتٍ ما وأبقيته هناك، من يتعد بقرار منه لا يقترب مجدداً بقرار مني، كل شخص بالحياة يختار المكان المناسب لنفسه في حياة الشخص الأخر وهناك من ارتاح بكونه بعيداً لذا سيسلب راحتي أنا أن تغير قراره في وقتٍ لاحق . .

عزيزي البعيد ،،

هناك من أحبه ولا يحبني وهناك من يُحبنى ولا أحبه . . أكون قاسية بشدة على الثاني بنفس مقدار ضعفي أمام الأول فأنهار في وقتٍ ما كوني شخصاً سيء جداً يُقال له أنه العكس ولا يُصدق ذلك . .

عزيزي ،،

في أكثر أوقاتي ضعفاً لم أشتاقك ولو قليلاً أبداً . .



عزيزي البعيد ، ،

تأتي الفرص العظيمة مرة بكل دورة حياة ولكل منا دورة حياة واحدة، تأتي الفرص ولا نستغلها أو نحاول استغلالها ثم نضيعها متعمدين ونجلس نبكي على ما كان بيدنا وأضعناه ولا نشعر بقيمة فقدنا سوى بعد الإفاقة من سُكرة فرحتنا بتنفيذ ما فكرنا أنه التصرف السليم .

لأعطي لأحد الفرصة كي يأتي بذكرك ولا أن يسألني عنك وأن حدث وسأل أحدهم تأتي إجاباتي مبتورة ويمكن أن أختصرها بكلمة واحدة مريحة «النصيب» فتكون كافية لإنهاء ما يمكن أن يستمر لساعات وأسئلة كثيرة عن لماذا انتهينا أو لماذا لا نعود . . . أت الفرصة اليوم وعلمت عنك ما لم أكن أريد أن أعلمه، كنت قد قررت أن أنتهي من الكتابة إليك وأن تكون رسالتي هذه هي الأخيرة فأنتهي من عادتي السيئة ثم قررت أن أكتب ٤٠ رسالة لأزيد من حكي الوجع وترتيبه فلا أحد يملك القدرة على إيلائنا سوى من اختار أن يتعد .

كانوا يقصون عليّ قصصهم المتعددة عن ابتعاد المحبين عن بعضهم ثم جلوس كل منهم بركن على أطراف الأرض ليراقب الآخر ويدس اسمه بين طيات حديثه لاشتياقه للحديث معه ويمنع كل منهم كبريائه وعناده أن يتحدث مباشرة مع من يتمناه، كنت أضحك من تلك القصص وأسخر من غباثهم فكيف تشاق ولا تبوح وكيف أشواقك ولا أركض لأحضانك وأخبرك أنني اشتقت لك ! فالحب لدي بسيط للغاية أحب فأصارع العالم أنني أحب وأشواق فأبوح لمن أشواقه أنني أحتاج لوجوده حولي ولا أعلم عن كيفية نسج الخطط شيء ولا أعلم عن كيفية الإدارة حتى تشتعل النيران . ثم بعد عمري معك أصبحنا نعيش كمن كنت أسخر منهم، حقًا لا تسخر من شيء حتى لا تبلى بمثله .

لا أدري بماذا سأكتب لك ولكن أدري أنني الآن يمكنني أن أتخذ ٢٠ قرار متضاد ويمكنني أن أكتبك وأمزقك أو أكتبك وأشواقك أو أعترف أنني لم أحب بعدك ولا غيرك ولا لدي تلك الرغبة بالأساس كل ما أدريه أنني اكتفيت بك، أو استنزفت بك بالأصح ولا يوجد لدي ما أقدمه لغيرك ولا حتى لك أن فكرت أن تعود . كنا كلوح زجاجي واحد نُشبه بعضنا حد التطابق ثم كسرنا وتشوهت حوافنا فأصبح من الصعب أن نعود كما كنا ولا أن نستكمل من حيث توقفتنا .

التشبيه يبدو مبتذل ؟

حسنًا ، كنا يا عزيزي كما تكون كل التشبيهات المبتذلة والحكايات المتكررة وأصبحنا كما تنتهي أيضًا ينعي أحدنا الآخر في جلسات الأصدقاء ثم نشرب القهوة مع نعي ما كان أو ما كان ليكون ونقف لنحاول نقض الذكريات العالقة بخلايانا ونفشل في فصل تعلقها بنا ولكننا نبتمس لنعلن انتصارنا فلا مجال للانكسار والبكاء سوى بركن خاص بغرفتنا فهكذا نحن نبكي وهكذا كان تشابهنا حتى وبيننا البعد ، نعلن للجميع تناسينا ثم ننكب على أنفسنا نتذكر كل كلمة وكل ضحكة وكل لمسة ونشاق ونبكي ونصمت ، ٣٣

نبتعد عن كل العادات التي اكتسبناها سويًا وكل ما يمكن أن يذكر أحدنا بالأخر ثم نقترفها في وحدتنا كطقس من طقوس تعذيب النفس

..

كانت الحكايات مبتذلة ولما ابتدلنا حكايتنا دفناها كما كانت توأد الفتيات في المهدي .

عزيمي البعيد ،،

بقيت لأشهر انكر احتلاك لدواخلي والآن لا أملك سوى أن أتذكرك وأنعي حبي . .

عزيزي البعيد ،،

يقراً من حولي في عيني وبين كلماتي أنني أناجي البعيد وأطلب حضوره على استحياء ولكنني يا عزيزي لا أحتاج للبعيد ولا أشاقه كي أناجيه ،، كرهت تزييف الابتسامات وترتيب حوارات لا تهمني مع أشخاص لا يخصني بها شيء ،، كرهت من تطورت إليها وكرهت جمودها وكرهتك ربما .

عزيزي ،،

يدخلون إلى حياتنا بخطوات ثابتة ثم تبدأ لعبة الكراسي الموسيقية فيحتلون كرسي الصديق الذي يهتم ثم يتقرب تدريجياً ليحتل كرسي الحبيب ويقوم بتكسير الكرسي السابق كي لا يتسلل إليه أحدهم ثم تمر الأيام فالشهور ويبقى تحللهم أيامنا واضح ومؤثر ثم ما نلبث أن نلبسنا تلك الحالة من كيفية عدم الحياة من دونهم، وهي للتوضيح حالة نفسية فقط وليست حقيقية ولا أحد يقدر في وقتها أن يشرح لك ذلك لأن كل حواسك ستمتنع عن الاستماع والفهم، المهم أننا سندخل بكل إرادتنا المسلوبة بالحب إلى الطريق الذي لا رجعة منه، الطريق الذي يُفرش بالحدائق الخضراء والعصافير التي تغرد والكلمات التي تذيب العقل قبل القلب ثم خطوة بخطوة يبدأ أحدنا في الابتعاد لأسباب متعددة سنختذها في الاكتفاء من الحب الموجود والرغبة في جديد، فينزاح السراب عن الصحراء التي كانت تخفي خلف الصورة المبهرة الخضراء ويبدأ البرد في جلد ضلوعك ربما عقاباً على تصديقك للزيف السابق، يملك أحدهم حتى يغمرك ثم يتركك وحيداً في العراء، يحتلنا أحدهم ثم يغير نظرتنا وقناعتنا تجاه العالم كله ثم يتركنا مذبيين بين التمسك بما كنا نعرفه أو التغيير إلى شيء مضاد بعد تجربة مريرة تستحق أن تتغير معها تجاه العالم، ماذا نفعل بعد أن تنقلب حياتنا رأساً على عقب بعد إعصار اجتاحتها؟ هل ستبقى مكانك لترتب الأشلاء الموجودة أم ستخلص منها لتبدأ من جديد أم تتخلى عن الكل لتبدأ بمكان جديد وأشياء جديدة لامعة !

تتخلى عن رغبتك في عدم خوض تجارب مرهقة جديدة وتستبدل حبيب واحد بمائة صديق لأيشبعون خواء روحك أم تتخلى عن نفسك وتبحث عن حبيب وتجربة جديدة قد تنهي كمثالها يا عصار يقلب كيانك من جديد !

لا شك أننا نتغير بعد كل تجربة ونغير جلدنا وتفكيرنا بل وقائمة الأفلام والأغاني التي نستمتع بها، تتغير نظرتنا من التناول إلى التناول ويمكنك أن تتحول من الهدوء إلى العصبية والعدوانية تجاه الجميع، تتحول بالطبع يا عزيزي بعد كل تجربة وكأنها صفة على وجهنا لنفريق ولكننا ما نلبث أن نتكس من الصحوه لنغمز في تجربة وجع جديدة لتعاد الرحلة كاملة مرة واثنان وثلاث وكأننا نفقد الذاكرة في المنتصف وننسى كل ما مررنا به ولم تعلم منه شيء . . .

عزيرى  
تعلمت أن أكون عفوية ثم تكونت لدي حالة التحفظ فأصبحت أخشى التجديد والتغير والتجربة وكل تجربة تأتي بما لا يُحمد عقباه  
لذا يا عزيرى لا أشتاقك ولكن يمكن أن أشتاق غيرك حتى لا أشتاقه ثم أشتاق غيره فلا حكاية تبقى للأبد ولا نحن سنبقى أيضاً . .

عزيمي البعيد ،،

هاتفني اختار الحنين إلى صوتك وقام عنوة بمها نقتك وأحمد الله أنني اكتشفت فعلته في الوقت المناسب . .  
قالوا أنني قاسية وهاتفني أحن مني عليك ولكنهم لا يدرون بما كسر لي من القسوة من قلبي تجاهك . . ربما أتخلص منه فمن يدري ربما  
لن ألحق به في المرة القادمة . .

عزيري البعيد ،،

هناك فيلم يتحدث عن امرأة تهوى الطبخ وكانت تملك مطعم صغير على وشك إعلان إفلاسه وعندما ذهبت للتبضع اشترت سرطان مجر يملك قدرة سحرية وكان يُساعدها لأنها أبت أن تطهيه، ما فعله أنه جعل الطعام يتلون حسب مشاعرها وهي تعدّه وذلك ينتقل لمن يأكله بالتبعية فإن كانت تبكي فكل من يأكل ما كانت تطهوه سيبكي معها وإن كانت سعيدة فالكل سيسعد معها .

الكتابة إليك باتت تشبه ذلك إلى حدٍ كبير، أنا أحب الطهي كثيراً بالطبع أنت تعلم ذلك وأحب أكثر أن أخبز الحلويات لأدري السر في ذلك ولكن أشعر وكأنها تزيل التوتر عني وربما مجرد الإرهاق الناتج عن عملها يُنسيك ما كان بك .  
المهم يا عزيري أنني أفكر أن الكتابة كالسحر والطهو كالسحر وربما ربط حذائي على شكل أذني أرنب يُشبه السحر فناخذ الرباط ونلفه حول الشجرة ثم نعدها وهكذا يصبح لدينا أذنان وفي مرة وأنا أسير كنت أنظر إلي رباط حذائي أتأمل تمرجهما في رتم ثابت من اليمين لليساار في كل خطوة وكأنها دقائق ساعة منضبطة تماماً، كل ما يحدث يحوي بداخله سحر ما ولكن المهم دائماً بالسحر هو تصديقك إياه . .

فيمكنني أن أرسم طيور و فراشات وأزهار على الحائط وأجلس لأتأملها وكأنني في حديقة تحوي كل ذلك أمامي أو أبعثر الأوراق في الهواء وأصدق أنها تطير أو أنني أستطيع الطيران، كل لحظة تحوي سحرها أن تأملتها بشكل مختلف .

عزيري البعيد ،،

هناك سحر في بُعدك هذا بدأت أراه ولكنني لم أدري ما هو بالضبط، ولكن للبعيد سحره الخاص وللبعيد مكاتته التي يحتفظ بها داخلك أيضاً كالسحر . فلماذا ستحفظه بداخلك هكذا وأنت انسان عاقل وتفهم جيداً أنه اختار أن يتعد عنك !

عزيري يُمكنك أن تتحرر من قبضة أي سحر يستحوذ عليك بتعويدة مضادة أو يمكنك أن تتوقف عن التصديق في السحر كالأطفال .

عزيزي البعيد ،،

بعد غياب وتخطب في الدروب أكتب إليك لأشكو العالم . .

تعلم يا عزيزي أنني لا أتا قلم جيداً مع العالم الخارجي بل تأتي أوقات كثيرة أتخشى أي تعامل مباشر معهم، أخلق لنفسني فقاعة كبيرة وأبقى داخلها وكأنني أحاول الحفاظ على نفسي من التلوث بهم أو الحفاظ عليهم من موجة غضب عارمة قد تصيب أحدهم فتودي بقلبه .

ولفترة الآن وأنا أحتمي بفقاعتي بعيداً عن كل العالم، أحيط نفسي بالكتب والأفلام والأغاني والنسكافيه ولا يوجد غيرنا . .

وللأسف يا عزيزي هذه الحالة تكون جذابة للغاية لمحبي اقتحام المساحات الخاصة للآخرين -وما أكثرهم- فيأتون كسيل جارف يحاول كسر فقاعتي العزيزة والتي تقاومهم بكل ما تملكه من قوة لتبقيني بداخلها، كأم تحافظ على جنينها .

تنهار قواها في لحظة ما فيندفعون للداخل فأعود الهرب منهم في أي اتجاه ولكن ذلك لا يبقئهم بعيداً كثيراً، فما يلبثون أن يحاوطوني من كل اتجاه بأسئلتهم السخيفة وابتساماتهم السمجة ومحاولاتهم اللزجة في رسم صورة مزيفة لأنفسهم لأقتنع بأن أفتح لهم باباً صغيراً في المرة القادمة التي أدخل فيها لفقاعتي، أحاول أن أبقئهم بعيداً بقدر الامكان وأوهم كلاً منهم على انفراد أنه بات يملك مفتاح الدخول السري فينصرف سعيداً بنصره المزيف ويتركني وشأني . .

عزيزي البعيد ،،

أحياناً يبدو العالم من دونك أصعب وأحياناً أخرى يبدو وجودك بعالمي الآن كأمر يستحيل تخيله حتى . . أعاني من حالات الصعود والهبوط الحادة حتى لا أكاد أستقر في مكاني داخلياً لتجذبني روعي من يدي وتجري كأحد الأطفال المنتشين بكمية هائلة من السكر مما يبقئها في حالة تحرك دائم تفرغاً للطاقة . . روعي لازالت طفلة ولكنها تُدمن اللعب بشدة وتُدمن وجودها حول الآخرين بشكل يجعل وحدتي داخل الفقاعة أمر مزعج للغاية لها مما يجعلني أكذب عليها مخبرة إياها أننا هنا فقط كي نحضر نفسنا لعودة البعيد لحياتنا فتسكن وتركني لأطول وقت تستطيع امتلاك الصبر خلاله .

عزيزي ، وحدتي بدون وجود أحد تبدو كأمر سيرياي رائق لا تشوبه سوى محاولات الاقتحام المزعجة فأتضرع إلى الله أن يُطيلها علي . .

عزيزي البعيد ،،

«لا غائب يعود كاملاً. لا شيء يُستعاد كما هو.

مرید البرغوثي»

هذه أحد قوانيني الصارمة بالحياة، أن انتهى شيئاً ما لأعود إليه مهما حدث فلن يكون كما تركته ولن أكون أنا كما كنت معه سابقاً، هذه إحدى مميزات كونك «الفنّانة العاقلة جداً» فسيّدخل عقلك بقوة في الوقت المناسب موقفاً قلبك عن الاندفاع الكامل نحو هلاكه.

لم أنتهي علاقة ثم أعود لأستكملها من حيث توقفتنا فأنا أدري جيداً أنك حين تخرج من النطاق الخاص بأي أحد ستقطع تلك الصلات الغير مرئية التي كانت تجذبكم لبعضكم البعض ولن تجد أي وسيلة لإعادة وصلها مرة أخرى.

«لا شيء يُستعاد كما هو»

فلا يمكنك أن تنهي مكاملة فجأة مع شخص ثم تستعيدتها بكامل رونقها ولا يمكنك أن ترسم نفس الخط بشكل مطابق له تماماً ١٠٠٪ مرتين متتاليتين، ولا يمكنك أن تنبهر بشخص من مسافة ثم تقترب فتجد تلاشي هذه الهالة المبهرة فتقرر أن تعود أدرجك لتستعيد مرحلة الانبهار المدهشة تلك، لا شيء يمكن تركه ثم استعادته كما كان فهي سنة الكون أننا نغير ونعتاد، نعتاد الاقتراب ثم نعتاد الابتعاد ونعتاد الحب ثم نعتاد الوجد لا شيء يبقى بمحله صامداً فحتى الجبال الجامدة تتغير والحيوانات تتغير والنباتات والجينات وكل شيء يتغير أو يتطور المهم أنه لن يبقى بنفس حاله أبداً.

«لا غائب يعود كاملاً»

فالغياب دائماً ما يقصف بداخلك أشياء كنت تُظن أن وجودها من المُسلّمات ولا تفكر حتى كمجرد تفكير أنها ستذهب يوماً ولن يمكنك أن تعيد ترتيب هذه اللحظة التي تظنها كاملة مرة أخرى، لا يمكنك أن تعود بعد غياب لتجد الانسان بمشاعره ثابتاً كما تركته كأحد جمادات غرفتك الموضوعه بعناية ولم يتغير به شيء يُمكن أن يعلوها بعض التراب الذي ستمسحه وستجد كل شيء حولك يلعب كالجديد أو هكذا ستخيل فحتى هذه الجمادات عزيزي تتغير فالتراب هذا يتسلل لدواخلها ويملى أي شق يجده أمامه ولن تستطيع أن تزيله وبالتالي حتى الجماد لم يعد كما كان ولن تستعيده سوى باستبداله . .



مهما اشتقت لعودة أحدهم لحياتك أو حتى لعودة تلك الحالة التي كنتما تعيشها معاً فلن تسعيدها بنفس تفاصيلها مرة ثانية حتى لو حاولت تكرارها بنفس التفاصيل والترتيب السابق، فالانهار الأول لا يعود والفرحة الأولى يبقى جمالها في كونها «الأولى» المفاجئة التي دغدغت قلبك داخلك وأخرجت تلك الابتسامة المشرقة على وجهك، بعض الأشياء ستحتفظ بجمالها في بقائها كذكرى «كانت» ولن تتكرر مهما حاولنا .  
سيكون أمك في أن تصنع بدايات جديدة وفرح «أول» جديد .

الفتاة العاقلة عزيزي ملّت من تعقلها وملّت من ترتيب كل شيء حولها بمكانه الصحيح وودت لو تندفع بنوبة جنون تغير فيها كل شيء حتى قوانينها الصارمة فرما تعود وتجد كل ما كان مثلما تركته وتستكمل من حيث توقفت، ملّت تصوراتها المحكمة لما تريد وتحتاج بحياتها وعدم التنازل عنه وملّت الانهار الجزئي داخلها والذي تخفيه جيداً بالابتسام والمزاح وملّت تواجدها وحيدة لعدم سماحها لأي أحد بالاقتراب فهي تطلق رصاصة الرحمة على كل علاقة في مُستهلها وتحكم عليها بالفشل المطلق وتبتعد بكل عقل حتى لا تستنزف نفسها ووقتها في غير محلهم . .  
هي التي أحبت حتى الثمالة قررت الأيذهب أي حب عقلها مرة أخرى .

ولكنني مللت تعقلها الذي يبدو مُزيفاً أحياناً وكأنه مجرد درع يقيها خيبة الأمل وربما هذا ما تعلمته من حياتها وحياتها من حولها أن تُبقي عقلها يعمل طوال ساعات اليوم - رغم أنه شيء مُجهد للغاية - فتبقى دائماً تحلل كل كلمة وخطوة وقرار وما تُجيده كثيراً هو تنفيذ القرارات بصرامة وكأن الكوكب سيتوقف أن لم تفعل ذلك، فأن قررت أن علاقة ما انتهت فهي تكون انتهت مهما حدث بعد ذلك من أمور رائعة أو محاولات مستميتة من الطرف الأخر لا ثبات عكس ما قررت فهي تعرف جيداً أنها مجرد محاولات لاستبقائها فقط ولكن بعد ذلك سيعود كل خطأ عاملاً بمكانه ولهذا يا عزيزي تمسك بشدة بقانونها الأثير «لا غائب يعود كاملاً. لا شيء يستعاد كما هو.» لن تعود هي كما كانت من عدة أشهر أو سنوات ولن تكون بعد بضع سنوات نفس فتاة اليوم التي تكتب للبعيد . .

عزيرى البعير ،،

كنت بجواره اليوم مجدداً يغمرنى بصوته الدافئ وحنوه الطاغى، همس لى بأنى أجمل من كل مرة رأنى فىها فابتسمت خجلاً فهمس مجدداً أنه يُحب خجلى كثيراً . .

لم أذكرك وهو يحتضن يدى بىديه، ولم أشعر بىرودة حضورك التى كانت تأتىنى من قبل، دفعه أذابنى وأذابك من حضورنا . .

عزيرى البعير ،،

أصبح محيطى مُسمم، فكل من يقترب أذفعه بعيداً وكأننى أريد البقاء منفردة هكذا كي أنكر ابتعادهم وأعدّد مساوئهم وكل الأسباب المُقنعة لابتعادهم وكل ذلك بالطبع لا يشملنى أنا . .

متى سأتوقف عن عاداتى السيئة ! !

عزيزي البعيد ،،

فلنكتب اليوم خطاب كلاسيكي المظهر، ونضعه بمظروف وطابع بريد وما إلى ذلك، ويمكن أن نستغني عن الطابع لأنني أكتب للمجهول

أجلس وتحيطني الأوراق والأقلام، ثم أضع موسيقى مناسبة للمزاج العام، «أنا كنت عيدك - علي الحجار» ونبدأ . .

«أنا كنت عيدك

تنقص نجوم السما . . أزيدك

الفجر يغرق . . أخذ يايديك

وأجمع سواد الأم بعيني

وأصب نبض الهوى في وريدك»

إلى مجهول العنوان . .

في يوم وساعة وتاريخ التقينا وفي مكان رائع، أدمنت الذهاب إليه فيما بعد وفي لحظة مُرتبة طبقاً للقدر قلت لك: أحبك . . هكذا ببساطة وببراءة وفي يوم وساعة وتاريخ آخر كان هناك بيننا شجار متكرر وكلمات وابتعاد لم يعتده ولم يتحملة أياً منا ثم في ساعات وأيام أخرى تكررت الشجارات وتكرر الابتعاد وبدأنا أن نعتاد عليه، الاعتياد عزيزي هولص العلاقات الماكر للغاية، قاتل صامت

في يوم وساعة وتاريخ لن أنساهم طلبت أن نبتعد للأبد، لم أصدق كلماتك هذه متبعة بكلمة للأبد والغريب أنني كنت أصدق للأبد هذه إذا سبقتها كلمة أحبك فلم أطلب منك وقتها تحديد زمن لهذا الأبد ولكن عندما وضعت كإطار للفراق طلبت منك تحديد معنى للأبد وكم من الوقت تعني؟  
طفلة ساذجة كنت أنت عيدها . .

«أنا كنت عيدك في عز ضعفي

وكنت يوم التجلي سيدك

وإذا كفرتي بسحر صوتي

هغني رغم العطش نشيدك»

## عزيزي البيت

عزيزي، كنت الوحيدة التي يُسمح لها أن تراك في لحظات ضعفك وكنت مصدر قوتك في أوقات كثيرة ولكن حين بدأ الافتراق يطرُق أبوابنا لم تعد تهرب إليّ .

وكنت تملئ أركان الكوكب حولي كاملة وكنت أدعوك بـ «نقطة إتراني» والتي بعد فقدانها وجدت أنني أنا نقطة الإتران الوحيدة التي أملكها في الكون !

أصعب ما مررت به هو الليالي التي كنت أحاول فيها برهنت أن ذلك العمر معك لم يكن مجرد كذبة كبرى بل كان حقيقة ولكنها انتهت، هناك حقائق تنتهي فجلاً ولا تبقى للأبد كما نحب وتمنى لها أن تكون . عقدت المحاكمات وكنت أنا القاضي والحامي والمتهم في ذات الجلسة، كما لو كنت أرهق نفسي متعمدة عقاباً على النهاية .

كنت عزيزي والذي رحل وكنت إتراني والذي فقدته لأسابيع وكنت نقطة قوتي التي أهلكني ونقطة ضعفى التي أنهكتني . . كنت ولم تصبح سوى مبني للمجهول في خطابات مجهولة . .

«تموت آيات النعم في حلقي  
أنطق بسر الحياة أريدك  
تكتب سنين الخرس نهايتك  
أنطق بسر الوجود أعيدك»

كان لدينا تلك العادة في تكرار الوعود بأن أيا منا لن يتخلى عن الآخر إلى الأبد فكل منا لا يملك سوى الآخر ولا يدري عن نفسه شيئاً سوى مع الآخر وكأننا قد ولدنا معاً أو تكونت شخصية ثم اقتسمناها سوياً أخذت أنت العصبية وأخذت أنا التسرع وأخذت أنت الاستغناء وأخذت أنا حب التملك وأخذت حبي وأخذت قلبك وانتهينا . . تقسّمنا وانقسمنا وبقينا تقطع أجزاء على مدار سنوات حتى لم يعد لدينا شيء مشترك، فقط ذات نهار أنت تعيش بحياة خالية من وجودي وأنا أعيش حياة لا تحمل اسمك في جنباتها ولم نمت !

مرآة الحب عمياء وخرساء وصماء وعرجاء ويجب دفنها في مهد تكوينها حتى لا نصاب بمتلازمة «انتظار من لن يعود، عله يشقى من دوننا فيعود»  
طفلة ساذجة كنت أنت عيدها . .

«أنا كنت عيدك  
وإذا نسيتي هتكون نهايتي  
وإذا وفيتي هكون شهيدك  
وكل ما أرحل هتكوني غايتي  
وكل ما أرجع هكون وليدك»

كنا نعدد طرق حُبنا ونعدد طرق حياتنا وكنا قد رتبنا كل شيء ثم سُحِب كل شيء وكأنها كانت مدينة رميلية انهارت مع أول عاصفة متوسطة وكأننا لم نتعب في بنائها ولم ننهار لانهارها واستمرت الحياة وكأنها لم تكن، تجمدت أطرافنا قليلاً وبات الكون حويلي وكأنه قد فرغ من مضمونه فجأة ثم بدأ لحظة بلحظة يكتسب ألوان جديدة وهنا اكتشفت أنها لم تكن مجرد كلمات نرددتها لنشعر باحساس زائف بالاطمئنان وننتهي من مجالسنا ولكن بالفعل الحياة تستمر بعد من يرحل والأعياد تتجدد وتختلف وتحمل أسماء جديدة وتكوينها لن يكون البعيد . .

أغلق الجواب بعبارة كلاسيكية مثل: إلى مجهول العنوان، ابق سعيداً بدوني وابق بقلبك وابق بعيداً،

من كانت عزيزتك يوماً .

أضعه بالمظروف وأغلقه وأقذف به إلى جانب الألف السابقة،

ننعي بكل أسى فقدنا للأوراق في رثاء البعيد . .

عزيمي البعيد ،،

باتوا يعنونون رسائهم بكناتي عنك، صرت أنت التجربة التي يسعى المقلدون لإعادة حفرها بتاريخهم، ليتهم يدرون عنك ما أدري  
لفروا بحسناتهم بعيداً عن طريقك ولاحتفظت بك أنا . .

عززي البعيد ،،

يظل اسمك مُرتبط لدي بحروف عديدة منها «حب» ومنها «حزن» ومنها «وجع» وتكاثرت الحروف وتختلط وتشابه وبالنهاية لا أجد منها ما يكفي للتعبير عما أشعر به . .

لدينا يا عززي ٢٨ حرف وملايين الكلمات ولا سبيل لأرسمها في صورة متكاملة تمثل ما أمر به . .



عزيزي البعيد ،،

«ماذا تفعل لو كنت مكاني؟»

هذا هو السؤال الذي غالباً ما افتتح به حديثي عن أية مشاكل مع صديقاتي المقربات، أقص عليهم المشكلة وأعيد عليهم السؤال ماذا تفعل لو كنت مكاني وأحول المشكلة بأسرها إلى أضحوكة وتسلية، اهزأ من مشاكلي لأطرد حزنها بعيداً .

فماذا ستفعل يا عزيزي لو كنت أنت بمكاني؟

ماذا ستفعل إذا ظل أحدهم مُخلصاً لحبك لأعوام عديدة، يُتابعك عن بُعد ثم يحدد لحظة مناسبة ليقترُب ويسألك عن أحوالك طوال فترة غيابهِ وهو يعلمها عن ظهر قلب، يبتعد عنك حين يشعر بفقورك الظاهر نحوه ثم بعد فترة أخرى يجره قلبه تجاهك مُجدداً وكأنه قد رُبط بك، يبدو أحياناً وكأنه قدرك أن تظلا هكذا قرب فُبعد فقور فاحتياج فقرب فُبعد ولا تدري هل هذه الدائرة هي المقدره عليكما أم أن هناك مخرجاً منها !

ماذا ستفعل؟ كيف ستخرج من هذه الدائرة دون أن تكسر روحه أن لم تكن كسرت بالأساس وهو يأتيك فقط طلباً لإعادتها كما كانت؟! ربما كسر وربما لم يكسره كل ذلك الوقت، فكيف يحافظ على ما يشعر به طوال سنوات دون تغير، قتلتي به بعد أعوام لتشعر بالآفة وكأنك لم تودعه سوى فقط بالأمس ولم يمر وقت أطول من هذا !

كيف تجعل من موقف كهذا مادة لتسلى عليها لتشعر وكأن لكل شيءٍ بالعالم حل طالما امتلكت القدرة على تسفيهه، تبسّط أعقد المشاكل أمام نفسك وربما تنام وتصحو وهي مازالت قابضة بمكانها ولكنها صارت بسيطة الآن ربما من فرط بساطتها ستحل نفسها بنفسها وترتاح أنت . .

عزيزي

كيف أخرج قانوني الشخصي وأسمح لمن ابتعد بالاقتراب مجدداً وأنا أعلم جيداً توقعاته أن كل شيءٍ كما تركه وعلمي بعدم صحة هذا إطلاقاً !

كيف تخبره بأن من أحبه هو قد ذهب بعيداً بلارجعة فيخبرك بكل بساطة أنه يمكن أن يعود إذا حاولنا وفتحنا له باباً، كيف يعود وهو لم يعتد العودة؟

«لا غائب يعود كاملاً!» كيف لا يعلمون ذلك؟

عزيزي البعيد ،،

حاولت الاتصال بك ولم أجد سوى صوت يُعلن موت هاتفك إلى الأبد ، أميل الآن إلى تضخيم الأمور على ما يبدو أعني أنك قد قررت أن تلقي بهذا الرقم طي النسيان .  
فقررت أن أترك لك رسائلي هنا في الفضاء حيث يمكن لأي أحد أن يقرأها قبلك أو ربما يقرأها الجميع دونك ، المهم أنني سألتخص من عبء حمل هذه الكلمات داخلي .

الرسالة ١ :

أعلم أنك لم تنساني ولم تتركني جانباً لتبدأ حياة جديدة مع أخرى مع محو أثارني المدونة فوق ثنايا جلدك بعناية كي لا تترك لي أثر ، ولكنني أعلم أيضاً أن تفكيري عندما يضع هذه الصورة على أنها حقيقة ما حدث لك هو فقط كي نستطيع أنا وهو أن نخطا دون أن نُهلك أنفسنا بأي أسئلة تشملك أو تشمل اسمك وماذا تفعل وبأذرع من ستغفوا اليوم . . أنت محوتني وأنا رددت لك الصاع صاعين ونسيتك ومحوت أثارك جيداً وكأنك لم تكن هنا يوماً .  
تُرى هل تعلم تلك الأخرى كيف تجعلك تضحك ؟ هل تعرف كيف تضع سعادتك أو حزنك كمجرد نهاية مرتبطة بطرف الخيط الأخر الذي بيدها وتدرني كيف تتحكم به ؟ هل تدري أنك تهوى الأشي التي تنتظر وتبقى دوماً متأهبة لحضورك ؟ بالطبع ستعلم وأن لم تعلم هي ستعلمها أنت .

الرسالة ٢ :

أن انزعجت ذات مساء من نومك ومددت يدك إلى هاتفك لن تطلب أصابعك أرقاماً تخصني فلم تعد تحفظها أو تدري سبيل الوصول إليها بعدما محوت أنت ذاكرتها كمن يهتم بالشاهدين على جريمته حتى إذا سأل عنها أنكرها وأنكروها معه ، كانت يدك وأصابعك تحفظني جيداً وتدرني كيف وأين ومتى تلمسني وتدرني كيف تصلك بي في منتصف الليل كي أهدئك وأنا أغني لك أو أحكي لك حكاية طفولية من تأليني كي تسعد وتنام ، أصابعك فقدت ذاكرتها بي ويداك لن تمتد لتسبقك أن رأيتني في أي مكان وقلبك صار مخموراً مرسلًا ذكرياته القديمة إلى المحرقة .  
قاموا بإعلان وفاتي داخلك حفاظاً على ما تبقى منك بعدي .

الرسالة ٣:

أنا لم أعد أذكرك كثيراً، ربما ستسرك تلك الجملة أولن يكون لها أي تأثير لديك ولكنها عظيمة الشأن لدي . . أكررها كثيراً هذه الأيام «لم أعد أذكرك كثيراً» صارت ملاحك تدخل في ذلك الثقب الأسود المفتوح بعقلي والذي يلتهم كل ما أريد أن أفقده عمداً حتى لا يستهلكني في مسار متوقع له النهاية تماماً، أشقى أنا بالذكرى وأتحيلك تسعد بأخرى وتشقى أنت بالذكرى وتتحيلني أسعد بأخرى ولا تتحدث ولا تحاول حتى، عقاباً للأخر على نسيانه وبالنهاية نعاقب نحن أنفسنا، ولا تزال حكايتنا تتخللها أسماء الراحلين والقصص معهم وكأنها لم تحدث سوى الأمس .  
لم أعد أتذكرك كثيراً . . ربما .

الرسالة ٤:

دُمت بعيداً عزيزي، دُمت غير عزيز تستهلك أيامك في محو أثارى التي ستجهد نفسك كل يوم في خدشها وتقشيرها عنك ثم تنام لتصحو باليوم التالي لتجدها كما لو كانت جديدة فتعيد الخدش والمسح والتقشير وكل يوم تبدأه من جديد مثل سيزيف يا عزيزي ملعوناً تماماً كسيزيف .

دامت المسافات بيننا هائلة ودام ثقبى الأسود جائعاً للمزيد من الذكريات ودامت «أنا لم أعد أتذكرك كثيراً» مترددة بجنبات عقلي .

دُمت بعيداً كما أنت .

عزيزي البعيد ،،

حضر مارس !

لو كان ما بيننا استمر لكنت هذه هي الذكرى الثالثة لنا معاً، لكنت الذكرى الصاخبة . حضر مارس لأنتحب حضوره وحدي بدلاً عن الاحتفال به معك، حضر مارس وحضرت ملاحك وذكرياتك وكل ما أبعدت عن عيني وعقلي في الشهور الماضية حضر ليطار دني وكأنك تركتني بالأمس القريب لأعود أبحث عن رقمك وصورك وهداياك ومجدداً لا أبكيك بل أحتفظ بك كسُم يجري بعروقي .

فكرة واحدة تحتل تفكيري الآن أن أبعث لك برسالة أطلب منك أن تلتقيني في أول مكان التقينا فيه - إن كنت تذكره - إن كان قلبك يحمل لي قليلاً من الحب بعد ، حاول أن تودعني بطريقة تليق بنا ، إن كنت لازلت بمكانتي لديك فلنلتقي ونرى ماذا سيحدث، هل سأضرب قلبك أم أحتضنه وربما أراك ولا شيء يحدث إطلاقاً وكأنك غريب عني ولا سُم يجري بدمي وما هي إلا أوهام الأرق العيننة ..

عزيزي البعيد ،،

إن كنت تذكرني بمارس الحزين فلنلتقي ..

عزيرى البعير ،

وكان هوسى بك يغزودمى مجدداً، وكان فكرة نسيانك وشفائى منك تقف أمامى تسخر منى:  
«كم كانت ساذجة، كلهن ساذجات» ..

وعزيرى أنت ولا فرار منك إلا إليك ..

ابق بعيداً أرجوك واخرج من دمي ..

عزيزي البعيد ،،

أريد كثيراً أن أبتعد عن الكتابة لك حتى ينتهي هذا الشهر ثم ربما أعود أو ربما أعتاد عدم الكتابة وأتخلص أخيراً من عادتي السيئة ولكن عزيزي بعض العادات حقاً يصعب قتلها بل نتركها تقاتلنا ببطء .

سأكتب لك اليوم وكأنك ستقرأ كلماتي هذه وكأنك ستهم وليتك تقرأ يا عزيزي لتعلم ،، لم يقدر لنا استكمال خطوات طريقنا سوياً كما رتبنا مراراً وتكراراً لم يسعفنا الزمن كي نشاهد الأفلام سوياً بغرفة معيشتنا ولا كي نأكل غدائنا معاً على شاطئ البحر ولا مساحة للأحضان ولا كلمات التدليل ولا لأي حب بيننا ، استهلكنا الحياة حتى استهلكنا بالكامل ولا سبيل لحياتنا سوى متفرقين وإلا سيفتتنا قربنا ويحيلنا لذرات تسبح في الفضاء . .

لو كنت تقرأ يا عزيزي لأخبرتك بحبي وبأمنيته التي أنكرتها مراراً وسأظل أنكرها ولن أعلنها حتى لك ، لو كنت تقرأ يا عزيزي لأخبرتك أنني بارعة للغاية في الانتقام ، فأفضل طريقة تنتقم بها من تركك ومضى ليرى كيف ستكون حياته مع غيرك أن تحيا وكأنه لم يكن ، أن ترتب حياتك وتسعد من دونه فلا انتقام أعظم من هذا وهذا ما فعلته بالفعل ، لبست أفضل وجه تمثيلي أملكه وأعلنت للجميع أنني بخير وأن الحياة رائعة وأني تخطيتك بنجاح ، أمسك الهاتف بنهاية اليوم لأمر على رقمك الذي لا أدري ماذا يفعل بها تقي إلى اليوم ولا لماذا انظر إليه وكأنه سيبعث لك بموجات تخبرك عن بُعد أن تتصل بي الآن وأنت شبه منهار من البكاء لتخبرني بخطك الجسيم في حقي وحق حبنا وترجاني لنعود وأنا افعل الغضب وأني بحاجة لقليل من الوقت لأفكر ثم بالنهاية أخبرك بأنك تعلم كما أنا أعلم جيداً أننا لن نعود أن افترقنا ، رددناها كثيراً في أذن بعضنا حتى صارت كالحقيقة المكتوبة في اللوح المحفوظ ولا مجال للالتفاف حولها ثم وبكل كبرياء أعتذر لك وأغلق الهاتف وامسح رقمك أو أتخلص من رقمي حتى لا يعود لي بصوتك في أي وقت قريب . .

تمنيت لو أن كل ذكرى مرت لم تمر وكأنها يوم آخر عادي لا شيء مميز وتمنيت لو لم أكن بهذا الضعف وتمنيت لو أنك تقرأ وتمنيت أشياء كثيرة لم أنل أياً منها ، وتمنيت لو أنني بكيتك كي أتخلص من بقاياك داخلي وتمنيت لو أنني فقط أفقد ما رددته كثيراً «تخطيتك والحياة رائعة» ويمكن أن تكون أقل من رائعة المهم هو الجزء الأول من الجملة ثم أملك القدرة على العيش مع آخر وأن أحب ويمكن أن أتزوج حتى . .

لو أنك تقرأ يا عزيزي سأؤكد عليك -كذباً- أن تبقى بعيداً وأخبرك بأنني حتى لا أتذكرك ولا أنتظر هذه الأيام وكأنني أعلم أنك ستعود ، المسافات بيننا صارت هائلة ولا سبيل لتقصيرها وأن كنت حتى تقف ووجهك ملاصق لوجهي ، المسافة بيننا قد ابتلعت كل ما كان وتركت ندبات في كل مكان . .

## عزيمي البعيد

لو أنك تقرأ سأخبرك أنني ما أحببت كما أحببتك ولن يتكرر هذا وسأخبرك أنني تغيرت وسأخبرك أن مدلتك لم تعد مدلية ولم تعد كما كانت منذ بضعة أيام وصارت تتغير برتم سريع للغاية ومزاجها متعكر في أغلب الأوقات ولا سبيل لإصلاح ما سبق وأن كسر . .

عزيمي البعيد ،،

سيسألونك عن محبوبتك السابقة فقل لهم استهلكها الحب وصارت كالرماد بعد التهام النيران لكل شيء . .

عزيزي البعيد ،

بأحد الأفلام التي أدمنها في بدايته يلتقي البطل -البادي عليه ملامح الانكسار- البطلة -وهي تبدو ومشوشة التفكير ولا تعلم ماذا تريد من حياتها- على قطار ويبدو أنهما ينسجمان سريعاً رغم الاختلاف الواضح بينهما، وما لا يدريه أيًا منهما أنهما كانا على علاقة حب طويلة منذ عامين ثم انفصلا وبعد انفصالهما ذهبت البطلة لطبيب ليمسح من ذاكرتها كل ما يخص حبيبها السابق هذا وأن يبلغه من حياتها وكأنه لم يكن وبالفعل نفذ لها الطبيب طلبها، فهذا هو تخصص عيادته .

وقعت بيد الرجل ورقة تحذيرية من الطبيب عن ذكره أمام الفتاة وتم ارسال هذه الورقة لكل معارفهما المشتركة وكل أصدقائها هي، وبالطبع جن جنونه وعندما ذهب لها وجدها بالفعل لا تعرفه وكأنهما لم يلتقيا أبداً فما كان منه إلا أن ذهب هو الآخر لنفس الطبيب ليطلب محوها من ذاكرته كعمل انتقامي منها، وأثناء هذه العملية لم يجد من عقله وذكرياتها غير المقاومة وندمه على هذا القرار ورغبته في إبقاء الذكريات التي يُحبها عنها، وبوسط العملية داخل عقله تطلب منه أن يخبئها في أي ركن لن تصل له آلة المسح القاسية تلك، فظل يقاوم ويقاوم حتى استسلم بالنهاية واكتملت العملية ولكن بعد أن كانت آخر ما مسح من ذاكرته طلبها أن يذهب لأول مكان التقاها به وكأنه خبئها بالفعل عنهم ثم يصحو من نومه بعد انصراف الطبيب ومساعدته ليذهب لعمله فيذهب لمحطة القطار وبدلاً من استقلال قطاره يستقل القطار الذي سيصل به إلى مكان لقائهما الأول ويجدها بالفعل، جمعهما القدر مجدداً وكان لقيهما هي حدث كوني مهم حدثه للغاية ، .

تخيل لو كان هناك بالفعل مثل هذا الطبيب لكان من أغنى أغنياء العالم الآن، ولكن هل لو ذهبت له هل كان عقلي سيتركه يعث به وبالذكريات المخزنة به أم كان سيقاوم مثل بطل الفيلم ؟

القرارات التي نأخذها في لحظة غضب أو إندفاع أو ضعف واشتياق غالباً ما تؤدي بنا إلى طرق غير مدروسة وربما إلى حالات انكسار جديدة لأننا في تلك الحالة نتوقع أن العالم سيرضخ بأكمله لإرادتنا وحينما نرسل لأحد فنخبره أننا نشأقه سيرسل لنا أنه يشأقنا أضعاف اشتياقنا له ونضحك فرحين بالأطفال والواقع يختلف تماماً عن هذه الأفكار الوردية، فإذا بعثنا بمثل هذه الرسالة فإما أنها لن تجد إجابة وإما سنجد إجابة موجهة على عكس توقعاتنا .

لو كانت ذكرياتنا قدرية كذلك العلاقة بالفيلم لتمسك القدر بلقائنا، سأحتفظ بفكرة أننا يمكن أن نلتقي بعد أعوام وبعد إزالة كل منا لما يخص الآخر لديه في عملية ذاتية دون أية أطباء ولكن لقائنا حدث كوني هام للغاية لذا سيعمل الكون جيداً على تكراره كي لا تفوتنا فرصة السعادة سوياً .

ربما هي بضع أفكار طفولية وسعادة زائفة تزرعها الأفلام بعقولنا وتمسك بها حتى نبقي قليلاً من الأمل والتفاؤل حياً داخلنا كي تتمكن من الحياة والتنفس بشكل يومي دون أي انهيارات تُربكنا .

دُمت بعيداً . . . للآن حتى .



عزيزي البعيد ،،

يقربون في محاولة من كل شخص لملئ تلك الهوة التي يراها الجميع ولا أشعر بها، يريدني كل شخص أن أعتقد وأصدق أنه يخشى على حياتي أكثر مني فينصحني بالبعد عن المهدئات في مرة أو البعد عن التدخين في مرة أخرى أو إتباع كل ما نصحني طبيبي بالابتعاد عنه في مرات أخرى، ينصحني بأن أصبح ملكاً له وحده وأن أبتعد عن كل أصدقائي فالجميع أشرار وهو الطيب الوحيد بالقصة .  
أفسدت عقولهم قصص أميرات ديزني فصاروا يهيئون لأنفسهم أدوار الأمير المنقذ الذي سينشلني من الضياع وكأنني كنت أنتظره ولكن فقط لم أكن أعلم ذلك، كم هو مناسب لهم . .

نسيت أنني أجلس ممسكة بكوب النسكافيه وقطعة الشيكولاتة وأبكي غياب أميرى المزعوم .

أفسدتهم بتلميحاتي التي ما أريد منها سوى اجراء تجارب مكثفة عن مدة صمود أحدهم أمام ابتسامتي التي يتلو عن سحرها القصائد ، يغريني بأن أصير أثنى تحبك المؤمرات كي يقع بشباكها ثم تنزل بكلمة النهاية فوق رأسه فقط كي يتعلم في المرة القادمة أن الحكايات تنتمي لفئة الأساطير التي نطمئن بها بعضنا البعض أحياناً وليست واقعية .

يظنون لوهلة قصيرة يا عزيزي أنني سألعب دور الفتاة المنكسرة التي تنتظر من يرميها ولا يعلمون أنني من أضمد جراحي وجراح من حولي بنفسى دون انتظار لأحد ، يعتقدون أن الحنوا المبالغ فيه سيجعلني أقع صريعة لنظرة الوله بأعينهم أو لمستهم المهتمة بزيف مفضوح،

كم مرة كانت ظنون البشر مجرد ظنون لا ترتقي لمرتبة الواقع المؤكد ؟

والمؤكد أنني لأحتاج سوى نفسي وكفى . .

عزيمي البعيد ،،

صارت الكلمات بعيدة للغاية عن عقلي وكأنها تهرب، تكوين الجمل يصبح في كل يوم شيء شبه مستحيل، ربما اختارت الكتابة أن  
تخاصمني بعدما قررت أن أتوقف عن الكتابة لك وربما الحيز المتاح داخل عقلي يضيق بكل التفكير الذي يزاحم الكلمات في مكانها،  
صارت الكتابة في حد ذاتها أرق . .

عزيري البعيد ،،

الأشياء تتضخم في البُعد وكأننا بحاجة للمزيد من الوجد أو الوحدة أو الحزن وكأننا لن نستمر بشكل سليم سوى بزيادة كل ما هو سلمي لأضعاف حقيقته، يتناقض الفرح وتقل السعادة وإحساسك بجمال الأشياء حولك وداخلك يبهت وغير ذلك فهو يزيد،

لماذا يا عزيري تبدو الآن أبعد؟

عزيمي البعيد ،،

الأيام تتساقط من ذاكرتي كأوراق الشجر، والشجر يموت إذا بقي بلا أوراق جديدة وكذلك الذاكرة . .

عزيرى البعير ،،

قد تآذى عند سماع أغنية كانت تعنى لنا الكثير هذا إذا استكملنا السماع لها، قد تآذى من طريق أو مكان أو حتى ألوان وملابس وروائح وأي شيء قد ربطناه يوماً بشخص رحل، وقد نبذوا أقوى إن لم تآذى وفككنا تلك الروابط وأبقينا الأشياء على أصلها الأغاني كأغان والطرق كطرق والأماكن فقط كأماكن نمر بها ونرحل ولا تعنى لنا أي شيء سوى في تلك اللحظة، سنبدوا أقوى وسنشعر بقوتنا عندما نتوقف عن الانهيار الجزئي كلما احتكت مناطق الذاكرة بكل تلك الأشياء .

عزيرى البعير ،،

طالما أخبرتك بفخر أنى «بنت قلبك» ولدت فيه وفيه أعيش .  
والآن ،،

«بنت قلبك» يا عزيرى كبرت وصارت بارعة فى الكذب والابتعاد وكسر القلوب، صارت زاهدة الجميع ومكفنية بكل ما يسكنها .

وزهدتك . .

عزيمي البعيد ،،

أبتعد عن كل هواياتي وأشياءني التي أحبها وكأني أعاقب نفسي، لا تصوير ولا قراءة وامتد الأمر أيضًا للكتابة ولا حتى أذهب لأماكن جديدة أو أقابل أناس جدد فقط أبقى بغرفتي أستعيد لحظات عديدة من حياتي وأعيد ترتيبها وأحاول فهم أين أخطأت في كل مرة وبعد كل إعادة أجدني أستحق العقاب، دائمًا ما أقسو على نفسي أكثر من أي شخص بحياتي وأعاقبني لأنني لا أملك عقاب أي أحد آخر سوى بالابتعاد عنه ولكي لا أملك الابتعاد عن نفسي .

ابتعدت حتى ما عدت أدري أي طريق سيقربني مجددًا . .

عزيزي البعيد ،،

حضر مارس وذهب مارس ولم تنشئت أجزاءي في أركان الأرض ولم ينهار العالم فوق رأسي من دونك، حضر مارس وذهب ولم أرك ولم أعيد عليك بذكرانا ولم يعد لنا ذكرى وكأنا لم نكن !

«هواقتكريني عشان ينساني ؟»

محمد عبد الوهاب

لا تتوقف أسألهم عنك عزيزي، وكأنهم يصرون على نكز الجرح المغلق حتى ينكشف ويقونه مفتوحاً لمن سيأتي بعدهم حتى لا يتكبد عناء كشفه مجدداً، وأفقد قدرتي أحياناً على صد فضولهم وأشعر بروحي مرهقة وكأنها تخوض حروباً على جبهات متعددة فداخلي لم يعد محتلاً بك ولم أعد كأحد الكواكب التي هجرها أهلها، صرت كمجرة كاملة بكواكبها وأقمارها وأهلها، تتنازع القبائل داخلي فتفصل مُعلنة قيام كوكبها الخاص وهكذا حتى قامت مجرتي وكل قوامها هو أنا . أعلن للجميع أن عاداتي السيئة بالكتابة إليك صارت تجاورك في مكانك البعيد، وعاداتي السيئة في تكرار إعادة ذكرياتي معك كفيلم طويل موجه لانهاية له صارت أبعد منكما وكل عاداتي السيئة تبتعد وتبتعد وتفسح المجال لكواكبي الناشئة لتحل مكانها الجديد . وأكذب في ذلك أحياناً .

يقولون أنك تذكرني فأرد بأنك نسيتني، يقولون بأنك نسيت فأقول أنك لم تذكرني لتساني . يقولون أنني قاسية فأقول بأنني فقط استرددت قوتي ووقفت على قدمي وحدي . وتعاد أغنية عبد الوهاب برأسي خلف كل حديث يشبه ذلك . يقولون الكثير عنك أيها البعيد وأرد بجفاء في أحيان وبشوق في أحيان أخرى وأنكرك دائماً .

أبقي الجميع على مسافة واحدة وكل من يظن أنه يملكني أو يملك جزء مني لا يملك سوى وهمه بذلك، ما عدت لأمن لأحد بالاقتراب لنفس المسافة التي كانت مخصصة لك سابقاً، صارت مغلقة على نفسها وعليّ وما عادت تجدي أي محاولات، باتت نظرتي للجميع أنهم يتشابهون معك في أشياء فأتلاشى التعامل معهم، اقرأ أحياناً كلماتهم بصوتك فأنتهي أحاديثي ولا أعود لنفس الحادثة مرة أخرى ثم ابتعد عنهم، صرت أمتلك من الأتعة ما يكفيني للوصول لسريري ليلاً دون أن انكسر أمام أحد وأعلن ضعفي التام .

يقول عني الجميع أنني فتاة قوية وأقول لنفسي بأنني بارعة للغاية في رسم تلك الأوهام بأعينهم، يقولون بأنني تخطيتك في فترة قياسية وأقول بأنني رميتك خلف عيني وحين أغلقهما أحتلي بك بعيداً عن نظرات شفقتهم أو حسدهم أو أيأ كانت طريقة نظرهم لي فلن يحكم أحد بأنني ضعيفة أو مجنونة أو عاشقة ميووس من شفائها منك .



أعطي نصائح لمن يطلبها وأرتبك أمام معضلة نسيانك البسيطة أمام مشاكلهم، أعطيتهم النصائح التي يجب أن أتبعها وأسخر من ضعفي، أكره ضعفي وأكره احتياجي لدفئك المفقود وأكره اشتياقي وأكرهني كثيراً يا عزيزي. أكره صورتني التي كانت معك وما عاد لها وجود وأكره اللمحات التي تثير فجأة في عقلي وكأنها تضغط علي كي أحرر ذكرياتي عنك.

صارت روحي تضيق بي وتلغني ربما، لم أعد أكتب عنك بل أكتب عني وعن تتابع أيامي من دون وجودك ومن دون انهيار سقف العالم فوق رأسي حتى الآن، رغم أنني قد تخيلته يتهاوى مائة مرة دون أن يصيبني شيء سوى الصداع، تصدع ذكرياتك فتؤلني رأسي، يكسوها دمي كالغراء فتنهال مفتة لآل فقطعة وتصبح تسلتي ليلاً أن أجمعها كما كانت، أبتعد عن الجميع وأنكفي على ذاتي أوئبها مرات وأهدتها مرات وأشكوها ومنها مرات ومرات وبالنهاية نغضب وتخاصم وتتشاجر كواكبنا جميعها ويصير النوم أمنية بعيدة المنال.

أكتب عني لأقول: صار البعيد بعيداً جسداً وروحاً وذكره أيضاً بعيدة للغاية . . أكتب عني فأجدني أكتبك وأغزلك في حروفي وأخبتك في أركان الجمل.

في رسالتي الأخيرة يا عزيزي أعلن أن المستحيل صار يُسمى الآن بنسيانك، فما حيلة لي بامتلاكه ولا تنفيذه ولا نصح نفسي كما انصح الآخرين بتخطي ما مضى والنظر للمستقبل، المملك في غرفة مغلقة بعقلي وأقذف بالمفتاح بيدي الأخرى فتتسل وتفتحها وتبكيك، لن أكذب فأقول أنني بخير وأملك كل ما أريد وحياتي كاملة ولن أكذب أيضاً فأقول أنني أريد عودتك أو أنني من دونك كنصف تائه ولكن سأقول أنني أتخطي أيامي وأتخطي تلك الغرفة المغلقة لبضع ساعات أو أيام ولا أتذكر حتى كيف كانت ملاحك ولا مدى ولعي بك ولا شغفي بخريطة يدك ولا أتذكر يا عزيزي أنني أحببتك حتى أفسدت نفسي على الجميع وحتى على نفسي، جعلت منك أسطورة أو نصب يبدو بكائي عنده معقولا بالنسبة لي وبأس للغاية لمن لا يدري عن حكايتنا شيئاً .

أتخطاك يا عزيزي بكل سلاسة وبوقت قياسي صرت مجرد ذكرى يُنظر لها عند الحاجة فقط، أصدق جملتهم المكررة أنني فتاة قوية وأتخطى احتياجاتي جميعها حتى لا أصاب بضعف، أنغلق عن العالم ولا أحتاج سوى للأفلام والأغاني والشخصيات الخيالية التي تجد ما تريد وقتما تريده فأسعد لها وبها وأبتلع سعادتي المزيفة كمهدى مؤقت يكفيني حتى موعد انغزالي القادم.

عزيزي البعيد ،،

في آخر رسائلتي إليك أعلن أنني قد نزلت بك بالكامل على الورق .  
نعم يا عزيزي هذا هو آخر ما سأخطه لك أو بك،

لن أكتب لأقول لك ماذا أفعل بأيامني أو من يدخل حياتي أو من يغادرها ولن أكتب لأشكو لك -منك غالبًا- ولن أكتب لأخبرك بتفاصيل نسياني أو تذكيري لك أو رسم لك الأيام والشهور من دونك، سيمر العام الأول قاسيًا كما أعلم جيدًا ثم سيتبعه الثاني والثالث وغيرهم وينفرط عقد الأعوام وتبقى المسافات بيننا هائلة كهذاحة خسارتنا التي تعلمها جيدًا، لن أتحدث عنك أبدًا بسوء أمام أحد فأنا أكثر من أعلم كم كنت تحبني وكم أحببتك وبقدر الحب -أرجو وأتضرع لله- يأتي النسيان . وستمر الأيام دون أن يراودني احساس الذنب لأنني أسعد من دونك أو كما كنت بالأيام الأولى أتوقف عن الضحك فجأة لأنني فقط أمسكت نفسي متلبسة بالضحك بشكل طبيعي ومن أعماقي ولا يكن سببه أنت ولا تشاركني أنت به وتوالت الضحكات دون توقف مذنب وأمر بماكن خطونا بها سابقًا ولا أتلمس الهواء مجثًا عنك ولا أبحث عن يدك أو عطرك ولا حتى بصمتك بالمكان أو أغمض عيني بشدة وكأني أستدعيك لتتجسد أمامي هنا والآن، كم كنت أتمنى لو كان الأمر بهذه البساطة . لم تعد تهتم أشياء كثيرة وتصبح الفراغات كبيرة في كل يوم ولا أجد ما يكفي لأملتها ولكنني أحاول، قررت أن أتخطأك وأنا دائمًا حازمة وحاسمة بقراراتي .

لا يهم .

ما يهم أنني لن أفتح مجددًا ما أريد قذفه من داخلي بـ «عزيزي البعيد» وأترك عاداتي السيئة بمحض إرادتي وأقضي على جميع تساؤلاتهم وأنهى ما بدأته وأترك بعيدًا .

عزیزؑ البعیدؑ،،

ذکراک صارت کُبعداک؁ فهنیئاً لی . .

٢٠١٤/٣/٢٤

\*\*\*\*\*

للتواصل مع الكاتبة:

Facebook Page: <https://www.facebook.com/sarah.ashour٨٥>

/Blogspot: <http://simply-saso.blogspot.com>

\_.٦٤٥١٠٣٠/Goodreads Account: <https://www.goodreads.com/author/show>

Facebook Account: <https://www.facebook.com/Sasooo>

\*\*\*\*\*

کتاب الکترونیة سابقہ:

قصص دواخلهم

AF%.D8%.+B5%.D8%.B5%.D8%.82%.http://www.mediafire.com/download/oVbziacmxj۲۱۳۷p/%.D۹  
%.+8۷%.D۹%.B۱%.D8%.A۷%.D8%.B۳%.D8%.+--+8۵%.D۹%.8۷%.D۹%.8۴%.AE%.D۹%.D8%.A۷%.D8%.88%.%.D۹  
pdf. B۱%.D8%.88%.D۹%.B۴%.D8%.A۷%.D8%.B۹%.D8%

حيوات

%.D8%.88%.8A%.D۹%.AD%.D۹%.http://www.mediafire.com/download/hh۰۶aow۲j۳emjoa/%.D8  
D8%.88%.D۹%.B۴%.D8%.A۷%.D8%.B۹%.D8%.+8۷%.D۹%.B۱%.D8%.A۷%.D8%.B۳%.AA+--+%.D8%.D8%.A۷  
pdf. B۱%.

مُفردات الوحدة

B۱%.D8%.8۱%.8F%.D۹%.D۹%.8۵%.D۹%.%۵۰88e۲x۲bab۷od۵/http://www.mediafire.com/download  
B%.D8%.+--+A۹%.AF%.D8%.AD%.D8%.D8%.88%.D۹%.8۴%.D۹%.A۷%.AA+%.D8%.D8%.A۷%.AF%.D8%.D8%.  
pdf. B۱%.D8%.88%.D۹%.B۴%.D8%.A۷%.D8%.B۹%.D8%.+8۷%.D۹%.B۱%.D8%.A۷%.D8%.۳

مقتطفات

B۷%.AA%.D8%.D8%.8۲%.D۹%.8۵%.D۹%.http://www.mediafire.com/download/mnv۹fcyxp۳ucac۵  
B۴%.D8%.A۷%.D8%.B۹%.D8%.+8۷%.D۹%.B۱%.D8%.A۷%.D8%.B۳%.AA+--+%.D8%.D8%.A۷%.D8%.8۱%.D۹%.  
pdf. B۱%.D8%.88%.D۹%.

مقتطفات ۲

B۷%.AA%.D8%.D8%.8۲%.D۹%.8۵%.D۹%.http://www.mediafire.com/download/tqtzd۷۶m۸nrf۵d۶  
%.D8%.A۷%.D8%.B۹%.D8%.+8۷%.D۹%.B۱%.D8%.A۷%.D8%.B۳%.D8%.+--+۲+AA%.D8%.A۷%.D8%.8۱%.D۹%.  
pdf. B۱%.D8%.88%.D۹%.B۴